

كتب قومية

قصة الثورة كاملة

بقلم: أنور السادات



كتب قومية

قصة الثورة كاملة

بقلم أنور السادات

مقدمة

كنت أكتب وأروي للشعب قصة ثورتنا ، وفي كل مرة كنت أسرد للشعب - وليس لغيره - حقيقة واحدة ، وهي أن الثورة لم تقم إلا من أجل شيء واحد .. من أجل أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثورة ألغت الاجزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطي صحيح ، لانظام مزيف يقوم على الخديعة والتغريب بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته . نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت في حلقات عديدة أروي للناس في مصر وفي خارج مصر حكايتنا .

فرويت قصة العرض الذي تقدم به لنا عم ناريمان يوم أن قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة في كوبري القبة .

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية تلك

الفكرة التي كان السيد سليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها في كثير من الأحيان .

كانت أهدافنا - اذن - واضحة . . ومحددة واصررنا عليها ولم نتراجع . . وتلك الاهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان هي اقامة نظام ديمقراطي سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه . . لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التي تريد أن تعيش عالة على الناس وجهدهم .

وتحدثت في حلقات هذه القصة التي تراها في الصفحات الآتية ، عن العقبات التي صادفناها ، وعن المؤامرات . . وعن الذين وقفوا في الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف اننا كنا قد قررنا ان يكون الزحف أبيض ، وأن يكون بلا دم . . حتى اذا عترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما - اذن أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية . فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين في الاغلال .

وفي الطريق مضينا . . والتقيننا بكثيرين من الاعداء . . الرجعية المتربصة بالبلاد . . الاحزاب التي قامت في كنف النظام الملكي الاقطاعي وفي حماية قوات الاحتلال . . .

والتقيننا بالخنونة والعملاء . . وبالانتهازيين وفلول النظام الذي سقط . . كنا نريد أن ينتهي الزحف الابيض على الاعداء في ساعة واحدة لا في ثلاث سنوات .

لكن المسألة لم تكن في يدنا . . فقررنا أن يستمر الزحف مهما كانت العقبات . . فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطي . . لا العسكري كما قال المزيغون .

ولقد حدثت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه .

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الاكبر للثورة المصرية .

لم يعد أمام الشعب الا أن يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على أعدائه ، بكل رغبته في العدل والحق والحرية .

ان آلاف السنين التي مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه . فلا جوع ولا عرى ولا ضياع في كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومي الذي سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا في ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته أسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحني أمامه العبيد .

أن الحزبية كانت تصنع هذا كله . . . ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة في نوادي الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة .

أما اليوم . . . فالبلاد بلادهم يملكون كل شيء فيها ، بعد أن مهدت أمامهم الثورة الطريق . . . وأزالت منه الصخور والاشواك .

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ، فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعني ما نقول ، وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب ، فتلك ليست صناعتنا . . . بل أوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التي خلفها لنا نظامهم

الباطش ، القائم على أعمدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال
والارستقراطية المتعالية .

وكان حتما على الثورة أن تقوض اركان ذلك النظام ، قبل
ان تفتح الابواب أمام الشعب لينطلق نحو مستقبله . كان حتما
على الثورة أن تحدد فترة للانتقال ... يتم خلالها تطهير الارض
من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمنا لا تحوطه مؤامرة ،
أو تتربص به الخديعة .

ان التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والارهاق
والضياع ، يطويها ليفتح صفحات أخرى ، يسجل فيها بدء حياة
جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، أراد أعداء الانسانية وقف
زحفه فهزموا ... وتشتتوا ... واجتاحهم الطوفان الكبير !

لا حزبية ..

فالشعب هو الحزب الكبير ..

لا زعامات مصنوعة ..

لا زيف ولا باطل ..

بل مجتمع اشتراكي متحرر وحكم قومي لايشوبه طغيان .
قلنا هذا الكلام مرات عديدة .. قلناه تحت هذا العنوان الجليل ...
لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة
المخلصة النابعة من أعماق الشعب .

واليوم .. ماذا سيقول المزيفون ، بعد أن أصبحت البلاد
ملكا خالصا لابنائها .. لكل الإبناء ! ؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم .. والشعب منطلق ..
والشعب منتصر ! ؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض
بالفرحة والانتصار .. صيحة تحمل الامل الكبير المضيء للشعب ،
والنذير لاعدائه ..

فمن أراد أن يحيا في كنف الحكم القومي وفي مجتمع
اشتراكي لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة ..

من أراد هذه الحياة التي تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله
وكفاحه .

من أراد الحرية والعدل والحق ..

من أراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء ..

من أراد أن يمضي في طريق لا يعترضه فيه باطش أو مستغل
أو مستبد ..

من أراد أن يصنع مستقبله في حمى الاشتراكية ..

من أراد أن يرفع رأسه بين العباد ..

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين للاله القادر العادل
رعايته التي حمت الثورة المصرية حتى أتمت زحفها الكبير .. !

« أنور السادات »

مَا هِيَ السِّيَاسَةُ ؟
وَمَا هِيَ الدِّيمَقْرَاطِيَّةُ !

ما هي السياسة ؟

هل هي علم يدرس ، مثل الميكانيكا ، أو مثل الطب والكهرباء ، فينبغ فيها الاذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب ويمارسها اصحاب الكفاءات ويعرف أسرارها خريجو المعاهد التي تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء ؟ ..

ولكى نناقش المسألة ببساطة أكثر أقول : هل السياسة مهنة أو حرفة يمارسها المرء ، مثلما يمارس أى عمل آخر ، تخصص فيه وفهم قواعده ؟

إذا قال لك احدهم أن فلانا هذا سياسى داهية ، وألمحى لا يشق له غبار ، فلا تستمع على الاطلاق لهذا الكلام ، لان السياسة ليست حرفة يجيدها انسان ويفشل فيها آخر ، أو يصبح عالما بخباياها !

وصحيح انه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيها السياسة وعلوم السياسة ، لكن تلك المعاهد لايتخرج منها ساسة على الاطلاق .. بل يتخرج منها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتا لايتغير ، بينما العالم من حولهم يدير شئونه ويغير من نظمه ..

السياسة الحقيقية

فمن هم السياسة الحقيقيون هؤلاء ؟ !

انهم الشعب ..

فالسياسة هي الحاجة .. والشعور بالحاجة هو الذى يدفع
المرء الى الكفاح من أجل تحقيق حاجاته .. هنا تصبح المسئلة
سياسة !

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها أن تحدد حاجات
الناس .. الذى يحدد هذه الحاجات هم أصحاب الحق فيها !

وعندما يقود أحد أبناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية
— مثلا — وينجح فى قيادته تلك ، ويحقق الانتصارات دوما ،
فليس معنى هذا ان ذلك الزعيم سياسى لا يشق له غبار ، وعالم
متبحر أزرق الناب ، معنى هذا أن هذا القائد يعرف حاجات الشعب ،
الذى يقوده ، ويعرف مصالحه ، ويعرف أعداء هذا الشعب الذين
يقفون فى طريقه ..

ومعرفة الحاجات والمصالح والأعداء لا تحتاج الى دراسة فى
معهد أو دبلوم من الجامعات .. بل تحتاج فقط الى العيش وسط
المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومي من أجل الرزق .. أى يجب
أن يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل أغلبية هذا الشعب ،
وتمثل حاجات ومصالح وأهداف هذه الغالبية .. التى عاش بينها
ومارس معها الكفاح اليومي ، فشعر بمشاعرهم ، وفهم أهدافهم ،
وآمن بها لأنها أهدافه هو ، وتجرع كل حقيقة سيطرت على حياة
هذه المجموعة .. لأنها هى نفسها حياته هو .. !

فاذا أراد تحقيق هذه الحاجات ، وسعى الى تلك الأهداف

ومضى حتى النهاية فى هذه الطريق فهنا .. وهنا فقط يقال أن
فلانا هذا .. سياسى .. !

أى أنه يعمل من أجل الشعب ..

السياسة هى الشعور بالحاجة

السياسة - اذن - هى الشعور بالحاجة ، وممارستها ، لاتكون
بتلقى العلوم عنها فى المعاهد والجامعات ، بل تكون بالرغبة
والاصرار والنضال من أجل تحقيق حاجات الناس .. أى
الثورة .. !

فقبل ٢٣ يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم
أنهم زرق الأنياب ، وساسة دهاة تلقوا علم السياسة فى جامعات
أوروبا ومعاهد لندن .. وبالرغم من هذا لم يستطع هؤلاء الا أن
يصنعوا شيئا واحدا .. هو العمل جنبا الى جنب مع أعداء البلاد !

فهم - اذن - كانوا خونة زرق الأنياب وليسوا سياسيين ،
هم لم يشعروا بحاجات الشعب ، ولم يؤمنوا بالشعب .. !

هل عرفت ما هى السياسة ..؟! ..

انها الحاجة ..

فاذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى
النهاية فأنت سياسى .. أزرق الناب ، ولا يشق لك غبار !

ما هي الديمقراطية ؟!

أغلق على نفسك الباب ، وانفرد بنفسك دقائق قليلة ، ثم وجه اليها هذا السؤال : ما هي الديمقراطية ؟!

لكن قبل أن تفعل ذلك نود أن نعرف من أنت ؟!

فربما كنت من تلك الفئة التي لا تعنيها الديمقراطية على الإطلاق ، بل الذي يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح أغلبية الشعب ..

بصراحة يجب ألا تكون اقطاعيا ، أو من حملة الرتب ..
باشا مثلا ..

ويجب ألا تكون من حكام أسرة محمد علي .. والانجليز
ويجب ألا تكون من حاشية ذلك العهد وحواريه ..

يجب ألا تكون منتميا الى الفئة التي استفادت من وجود الاحتلال ، ومن وجود الباشوات ، ومن وجود الرجعية ... أعني أعداء التطور !

وأخيرا لكي تجيب على هذا السؤال اجابة صحيحة دون أن تخطيء أو تتجنى ، عليك أن تكون أحد أفراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضي .. أى تمثل غالبية الشعب .

بعد ذلك حاول أن تجيب على السؤال .. ما هي الديمقراطية؟

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذي لا تجد عملاً .

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذي لا تجد علاجاً .

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الفلاح المريض الكادح المعروق .

الديمقراطية بالنسبة لك أيها العامل المتطلع إلى الضمانات

والمكافأة المجزية .

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الموظف صاحب الأسرة ،

وصاحب الآمال العديدة في التعليم والصحة والأمن .

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التي استغلت ، لمصلحة

أفراد قلائل ، عاشوا فوق أرضنا خونة ومترفين وخاملين

ومخادعين .. !

أجل .. ما هي الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب . ؟!

هل أجيب أنا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة أيها

العامل وأنت يا فلاح ، ويا طالب الحق المسلوب ؟!

الديمقراطية بالنسبة لكم هي تحقيق مصالحكم ، لا مصالح

الأقلية .. !

الديمقراطية هي انتزاع الحقوق المسلوقة ، واسترداد

الأرض من غاصبيها .. !

الديمقراطية هي التخلص من القيود ، تلك التي كانت في

رقابنا ، وحول أذرعنا ، وعقولنا أيضاً .. !

الديمقراطية هي استقلال الوطن ، وسيادة الأمة ، والمساواة

والعدل ، هي تقرير المصير .. !

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت الديمقراطية هى الطريق ، طريق هذه الثورة الذى اتجهت اليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وايمان ..

لأنها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة ، بل هى نفس الثورة المصرية التى قامت من قديم ، وهدفها التخلص من أعداء الشعب ، وإقرار الحق والعدل والمساواة ، وسيادة الأمة .

نحو الديمقراطية

من أجل هذا مضت الثورة المصرية بعد انتصارها فى ٢٣ يوليو بخروج الجيش الى المعركة .. جنبا الى جنب مع الشعب .
أقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد .

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية ، ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعا ، أن تتخلص أولا من أعداء الديمقراطية أى أعداء الدستور ، وهم أعداء الشعب .

وكان العدو الأول هو الملك .. بل هى الأسرة التى كانت تحكم ..

وانتصرت الثورة على العدو الأول .. وبهذا أرسست الثورة أولى قواعد الديمقراطية ..

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة .. بل للديمقراطية ، أما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الإصلاح الزراعى ..

وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد ، بعد فترة الانتقال ، وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره ..

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكري مع الدول الكبرى الا ايماننا بالديمقراطية ، والتصميم على قيامها في جمهورية مصر ..

ذلك لان الحلف العسكري كان سيجعل الشعب وأرض الشعب وموارد الشعب في خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها .. !

وفي ظل الحلف العسكري المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق مضمونها ، الا في الدولة التي لا تخضع لسيطرة اجنبية ، أو لتوجيه من خارج حدودها .. !

اصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف العسكري ، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطي الذي ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال ، وبالتالي حماية مصالح الشعب ..

ويوم أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة المشهورة ، لم يكن ذلك يعنى أن جيش مصر قد زاد عتاده ، أو أن جيش مصر قد أصبح أقوى الجيوش ، بل كان معنى ذلك ، أن جمال عبد الناصر يعد البلاد للحكم الديمقراطي ، على أسس متينة قوية ..

لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من ارادة هذا الشعب ومن وحي أهدافه ..

طلبت الثورة السلاح لجيشها من أمريكا ومن انجلترا ومن فرنسا ومن كل مكان ، ورفضت أمريكا وساوحت ، وترددت انجلترا ، ثم أعطت وعودا لا حصر لها ..

وفي الوقت نفسه أعطوا اسرائيل ما تريده من سلاح ..

كان السلاح هو « الكرت » الأخير في يد الدول الكبرى ،
للضغط على مصر ، ومحاولة السيطرة عليها ، والتمكين لنفوذهم
فيها ..

ومعنى ذلك أن مصر كانت ستخضع للسيطرة الأجنبية ،
ثم التدخل والتوجيه من الخارج .. وبهذا يصبح من المحال أن
تحقق الثورة المصرية هدفها .. وهو الديمقراطية الصحيحة ..

ويوم قرر جمال عبد الناصر أن يحرق هذا « الكرت » الذى
تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا .. ويوم أن قرر
شراء السلاح بدون قيد ولا شرط ، من الدول التى قبلت بيع كل
ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط .. بلا بعثات عسكرية
ووثيقة أمن متبادل ، وخضوع لما تمليه مصالح الأجانب ، فى هذا
اليوم سجل التاريخ لجمال عبد الناصر خطوة أخرى كبيرة فى
الطريق الذى يسلكه لارساء قواعد الديمقراطية فى بلاده .. !

لقد كان معنى عدم تسليح الجيش ، والوقوف ازاء مناورات
الدول الكبرى موقفا سلبيا ، هو ان الثورة المصرية لن تجد
السلاح الذى تحمى به أهدافها .. ثم حدودها التى تتاخم حدود
أعداء أعدنا منهم الغدر والضعف والأطماع !

صفقة الأسلحة اذن ، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط
مع دول أخرى لم تناور ولم تحاور ، حطمت بها الثورة التدخل
الأجنبى ، والسيطرة الأجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد
وبضربة واحدة .. ومعنى ذلك هو أن مصر تمضى فى طريق
الديمقراطية .. والا فكيف كانت الديمقراطية ستجد أرضا تنبت
فيها وتزدهر ، وهذه الأرض لا تحميها قوة تفوق قوة الأعداء
المتربصين بهذه الأرض .. والطامعين فى السيطرة عليها .. !

وبعد هذا .. بعد القضاء على أسرة محمد على ، وبعد جلاء

القوات المحتلة ، وبعد القضاء على الاقطاع ، وبعد ابعاد السيطرة الأجنبية برفض الحلف العسكرى ، وبعد حرق « الكرت » الأخير فى ايدى الدول الكبرى للضغط علينا ، بعد صفقة الاسلحة ، وبعد أن أصبح لمصر جيشها الوطنى القوى الذى سيسمح بالحدود والاهداف .. وثورة الشعب ، أعلن جمال عبد الناصر الدستور الجديد للجمهورية المصرية ..

لا ديكتاتورية

لا ديكتاتورية اذن ولا حكم فرد ، ولا سيطرة لطبقة على طبقات ، ولا مصلحة الا مصلحة الشعب .. !

ان الخطوات التى تمت خلال أعوام الانتقال ، لم تكن لتمهد على الاطلاق الا لشيء واحد .. هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء ! والا فما معنى أن تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحو التقدم والتحرر ؟!

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والاجانب والخنوة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب ؟!

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق ؟!
أم لكى تفسح الطريق للسيطرة الأجنبية والتدخل فى شئون الشعب .. ؟

انها خطوات تمت للتخلص من كل هذا ، وللقضاء على كل هذا ..

لأن الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب ..

هل عرفت اذن ما هى الديمقراطية ؟!

انت أيها العامل ويا فلاح ، ويا صاحب الحاجة ، ويا طالب
الزرق والعلم والصحة والأمن !؟

افتح اذن الباب واخرج الى الطريق ، فلن يقطع عليك الطريق
عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك في الماضي ..

لا سبيل أمام الاعداء للبطش بك أو بحقوقك في كنف النظام
الجمهوري .. الديمقراطي !

الثورة والديمقراطية

الديمقراطية المظلومة

عاصرت كما عاصر أبناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة
لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى .

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق
المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف أن الملايين من أبناء
هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى
توافق فيه الحكومات المتتالية - من جميع الاحزاب والرجالات
والزعماء - على اتفاق مليون ونصف مليون من الجنيهاات على اصلاح
وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد
هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الأغلبية حيناً
والأقلية حيناً آخر ..

وبعد أيها القارئ .. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من
الحكم هو الديمقراطية ؟ ..

وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من أقصاها
الى أقصاها بوساطة خادمه الأمين .. ولذلك رأينا حكامنا الأفاضل
يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل أن واحداً من أولئك الرجال - وهو
مصطفى النحاس ، الذى كانت البلاد تأمل أن يكون على يديه الخلاص
فى يوم من الأيام - لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم
الديمقراطى - فى نظره - بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل

يده وهو زعيم الأغلبية في ذلك الوقت ، والذي أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم أتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه في رمضان الى كبرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين أن يتوجهوا الى هذه القبلة المأجنة في خشوع وولاء ..

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذي كاد يودي بكل شيء في هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة .. ؟

وفي الماضي القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معي الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، أقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة في محاكمات محكمة الشعب على لسان أقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتل والنسف والخطف ، وحين أراد أحدهم أن يبرر هذا العمل قال انه في سبيل اقامة الديمقراطية ! .. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من أبناء البلاد - تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لصالح رجل واحد - هو المرشد العام المقدس ..

وكان أبرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين أراد أن يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته في فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينادى بالديمقراطية ، ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية !!

والعجيب أن هذا التفسير انطلى على كثيرين وأصبح نجيب في نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وأنى لأذكر جيدا كيف أنه بعد أن عاد نجيب في فبراير

١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته في أن يجلس بيننا في مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع في كل مكان أنه لم يوافق على كذا وعارض في كيت ، بحيث أخرج الإخوان وقتها أسطورة الأب الشفوق الرحيم . وأظن قرائي يذكرون مقالتى التى نشرت فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم أن صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب إليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا أن بكى معهم وقال : « ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من أبطال الوطنية » . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت أمضاؤه على التصديق أول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا . .

أقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقد لها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الأحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك .

وأذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولها يوم أن جاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يأتى :

١ - حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته .

٢ - حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته .

٣ - حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات . .

٤ - جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته .

٥ - على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وأن يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم .

٦ - ألا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية .

وجلسنا في دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا أمام الوزراء في ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطي ، واننا لم نقوم بهذه الثورة لكي ينتهى الأمر بالبلاد الى ديكتاتورية محمد نجيب أو أى شخص خلاف محمد نجيب .

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر محمد نجيب لكي تناقش هذه الأمور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وأبلغه رغبة المجلس فى أن يحضر وفعلا حضر .

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب .

وتكلم جمال عبد الناصر وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقه عليها . وأنهى كلامه بأن هناك أحد حلين لا ثالث لهما :

الأول : أن يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الأمور كما كانت على شرط أن تنتفى الأسباب التى من أجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ .

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل
هتاتاً هذه الديكتاتورية ويكون الاُصوب بدلا من أن نختلف أن
تجرى انتخابات فورا وأن تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى
الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم
بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها .

وهنا يجب أن أقف قليلا . .

فقد رفض محمد نجيب أن يعود أول الأمر الى رئاسة مجلس
قيادة الثورة بحجة أن هذا المجلس مكروه . ورفض أيضا أن
يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله سليمان حافظ . .

أما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب أن يناقشه قبل أن
يبدى رأيه فيه .

ولما طلب تفاصيل عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر :
إن هذا الحل يعنى أننا يجب أن نعلن اليوم انتهاء الاحكام العرفية
واباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شئ كما كان قبل الثورة لكى
تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم .

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال :
سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد أن يدخل
الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر . .

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من أبطال الديمقراطية .

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل
فرعى آخر هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية وأن يشكل وزارة
مدنية برئاسته أيضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس
الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو أن يكون له حق الفيتو على
قراراته .

كان نجيب يطلب هذا في نفس الوقت الذي كان يشيع في كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية . . . وملاّت تصريحاته في هذا الشأن الصحافة في كل مكان .

وهذا تفسير جديد للديمقراطية . .

فكل ما كان يعنى نجيب هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هذا أن ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكي يصبح في نظرهم بطلا من أبطال الديمقراطية في سبيل الوصول الى أغراضه . .

هذه ألوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة في بلدنا الطيب . .

ترى ما هو التفسير الذي تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ . .
وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟
وهل حكومة الثورة في يومنا هذا حكومة ديمقراطية أم هي حكومة ديكتاتورية أم هي نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟ . .

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية ؟

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات أمر معين ، وهو أن الديموقراطية لها أعداء في مصر ، وأن مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحده . . !

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها
ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من أعضاء المجلس ليس الا
ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

ويا له من موقف تاريخي عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديمقراطية قد ضاعت من شعب
مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر

كان الشعب حرا فاستعبد ..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف
السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود
من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب
المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد
العيش واستقرار الحال !

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب
فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاته المقدسة ، ويجد
الملايين من أبنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعا ينعمون فى ديارهم
بتلك الديمقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب
كل شئ !

جاع وتعزى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق .. لأن
الديمقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية ... جاء الطغيان
والاستبداد .. والحكم المطلق !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات من تصوير للموقف ؟

. وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما أن الذين يحكمون البلاد الآن لا يبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن أعداء للديموقراطية ، كما هو واضح من كلام هؤلاء ، ومعنى هذا أن الشعب فى مصر لن يحكم حكما ديموقراطيا إلا اذا أباح لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط فاذا رفض فهو يناصب الديمقراطية العدا . ويريد أن يبطش بالشعب .

وجميل جدا أن يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديمقراطية ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من أجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها .

لكن ما رأيكم يا طلاب الديمقراطية فى مصر .. ويا أبطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، أقول ما رأيكم دام فضلكم فى أن الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه أن قيادة الثورة ليس لها وجود لأنها - أى القيادة - من المحتم عليها أن تحقق - هى - للشعب ما يطالبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .. لأنها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لأنها لم تستدع ليتولى قاداتها الحكم بناء على أمر من « ولى العهد » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما ! بل

تولت - هي - الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره .. وقد فعلت !

ليس جمال عبد الناصر ورفاقه أعضاء حزب من الأحزاب
يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا

ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما ... بل قادة
ثورة ... والفرق كبير بين الثوار والحكام !

والثورة لها أهداف حققت بعضها ... وباقى الأهداف
سيتحقق قطعا على مر الايام ... طالما ان الثوار يتولون زمام
الامور ، ولا أقول الحكم .. بل انى أعلنها أكثر صراحة أن جمال
عبد الناصر ورفاقه يمكن أن يقبلوا أى شىء ما عدا شيئا واحدا
.. وذلك الشىء هو انتهاء الثورة .. قبل أن تتحقق كل أهدافها !

ولا أريد أن أكرر وأعيد فأحدث عن أهداف الثورة ...
فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا ... فلم تعد خافية على أحد !

ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الأخير وأملها
الضخم هو ارساء أسس النظام الديمقراطي الذى يجعل الشعب
يحكم نفسه بنفسه

واذن ماهو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديمقراطية ؟
واقول : ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها وبخطواتها
التي تتم في العلن

الثورة تفسر الديمقراطية بالكفاح العملى من أجلها

فهي عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد
النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب
حتما سينخطوها لو لم تقم الثورة في ٢٣ يوليو ... وكان
سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ، ولكن

جمال عبد الناصر ورفاقه تحققوا تلك الدماء... باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام... سلميا... أو بالقوة إن كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستعمار... وفى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديمقراطية يخطوها الشعب وقد كان الشعب سيخطوها حتما ذات يوم... وكان سيضحي بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت... لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب أرواح شبابه وأطفاله ونسائه وشيوخه... وتم جلاء القوات المحتلة - سلميا - تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة .

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى أى مكان من العالم أن اتبعته فى نضالها... اذ أن ثورة مصر ظهرت قياداتها بين صفوف القوات المسلحة... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها... والشعب أيضا وقف معها !

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعي .

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم... وقضت عليه - سلميا - بلا دم كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقير داره !
والثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الاستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة... وحالت الثورة - نهائيا - بين هؤلاء وبين الشعب !
والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على التعصب وحكم التمسع والطاعة... أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين... لا باسم أى شئ آخر وقد حدث... وثمت الخطوة الكبرى فى

سبيل الديمقراطية تلك خطوات الثورة التي فست بها الديمقراطية .

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية ؟!

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديموقراطية ، وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب .

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الأحزاب التي تولت - أخيرا الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم ان يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التي كانت تسيطر على حكومات ما قبل ٢٣ يوليو .

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما .

أى أن جمال عبد الناصر ورفاقه - ما دام هذا وضعهم - يصبح من المحال مطالبتهم بشيء معين له علاقة بالاوضاع التي يجب أن تسود البلاد .

ولا أعنى أنه ليس من حق أحد ان يطالبهم بشيء معين - لا - بل أعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه امام امر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التي قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من ارض البلاد ، مسألة أصبحت ضرورة تاريخية لا يمكن الخلاص منها .. لا بمنشور يحوى أسبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين .

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة أيضا مسألة
عودة الحياة النيابية والدستور والحريات .. الخ .

سأناقش موضوع الديموقراطية التى يزعم ابناء العهد الماضى
وخدامه أن جمال عبد الناصر ورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى
يوم ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ..

ولعل هذا التعريف يعجب بعض الناس الذين يتهموننا
بالفاشية ..

وأعود من حيث بدأت ، فأقول اننا لسنا شيوعيين ، بل لم
نعرف ما هى معتقدات اتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد
.. وبالرغم من هذا فانى أثقل هنا كلاما قاله أحد القادة
الشيوعيين ، وذلك القائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة
أوربا مجتمعة .. أعنى الصين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟!

هل لأن الذين قادوها من اتباع ماركس ولينين وستالين ،
أم لانهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليل أن ماوتسى تونج
نفسه عندما أراد ان ينادى بمبادئ معينة لم يجد سوى مبادئ
الزعيم الوطنى الصينى الكبير صن يات صن ... ولم يحدث أبدا
فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة
الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمان أو بدستور أو بحريات .

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتلاع جذور النظام
القديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن
يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية .

قال ماوتسى تونج، وهو يوضح موقفه أمام الشعب الصينى:

« ان المجتمع الصينى الحالى ما زال مستعمرا وشبه مستعمر وشبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساسيين للثورة الصينيه هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية .. وبما أن واجبات الثورة الصينيه هى أن تحقق الثورة الوطنيه والثورة الديموقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحيانا مساعدة البورجوازية الوطنيه وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومنع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها ، الا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد أن طبيعة الثورة الصينيه فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية وانما الديمقراطية البورجوازية .. وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ويجب على الصين أولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار .. واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر .. »

ان وحشية القوى الظالمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل أيضا اجرامهم الأخير، ففي نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق ... تلك هى الحالة فى العالم .

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى
معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الالوف من شبابه وشيوخه
ونسائه وأطفاله .

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى
وحول المدن ..

وكان لابد ان يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى
طريقها المعلوم ... لان القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة
... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات .

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت
قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم
تعرض مصر للخراب والنسف والموت .

ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم ... وتولى جمال
عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين
أو باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا
للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا
فى السر كما حدث فى الصين ... ومن أجل هذا يخطئ الذين
يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شئ ...
فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية
... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة ... وفى قيادتها ...
ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى
الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة
« سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية
المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من

أهدافها حددته في الحال ، وعملت من أجله .. فإذا لم يتحقق
الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة في حل من استعمال القوة
بتأييد من الشعب !

وهكذا مضت الثورة المصرية في طريقها المحتوم .. فإذا
وقف في طريقها فرد أو جماعة وطالبوها - باعتبارها حكومة -
بشيء ما ... كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو
التسليم به ... لان قيادة الثورة هي التي تحدد ما تراه متفقاً
مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه !

ولنتصور - مثلاً - تشانج كاي شيك يقف أثناء قيام الثورة
الصينية ويطالب ماوتسي تونج بانتخابات وبرلمان وبحريات
الخ ..

فماذا كان سيفسر طلبه ؟!

هل يفسر بأنه موقف وطني من تشانج كاي شيك ضد قوى
الفاشية والديكتاتورية .. أم يفسر بأنه محاولة من تشانج كاي
شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد في الحالتين،
موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة
والرجعيين في البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء
انتخابات في الحال ، وبدستور في الحال ، وبحريات في الحال ..
لكي يعودوا الى أماكنهم .

وتلك الأماكن أبعدتهم «الثورة» عنها .. فكيف اذن تعيدهم
مرة ثانية ؟!

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم
يتعرض رجالها للموت الا من أجل القضاء على تلك الأوضاع ؟!

وقد أوضحت في الفصل السابق موقف الثورة من الديمقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها ... تفسرها بالقضاء على الحكام الاغراب عن هذا الشعب والارستقراطية المصرية المثلة في الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لأنهم أغلبية الشعب !

ثم أخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها « العملية » للديموقراطية ستقرر فى الحال أن يحكم الشعب نفسه بنفسه .. لا بالهضيبى ولا بالبدرأوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

أما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحكم !

تلك هى الديموقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم أو يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلاميذ للفاشين ! .

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق ؟!

حكم القصر والبدرأوى وسراج الدين المشعوذين حفظة سورة آل عمران ؟!

كيف أصبح الثوار طغاة ٠٠ والطغاة أبطالاً للحسرية
والديموقراطية ؟!

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا
يستمد أفكاره من هتلر وموسوليني وكل الطغاة وأصبح محمود
أبو الفتوح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما أصبح
حسن الهضيبى ؟!

هذا هو موضوع الفصل التالى .

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة
وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالاً للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف قلب الأوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الأبطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان ؟!

أين كان محمود أبو الفتوح وحسن الهضيبى وسراج الدين
والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا
للميمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان
يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود أبو الفتوح مثلما يفعل الآن فى ربوع

أوروبا ؟.. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبي جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه ؟!

لماذا لم يترك سراج الدين سيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ في الناس أن قوموا لتحرروا مصر من هذا الاضطبوط الرهيب الذي يبطش بمصائركم ؟!

ولماذا .. ولماذا ؟!

لا توجد الا اجابة واحدة عن كل هذه الأسئلة .. وهي أن حكم أسرة محمد علي والباشوات والسماسة كان هو الحكم الديمقراطي الدستوري المجيد الذي يرضى عنه كل هؤلاء الساسة وأذنانهم وأعوانهم وخدامهم .

أما اليوم فهم في محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم في تقويض صرح الثورة التي قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !

واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن أعداء لها !

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى أقول اني سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابي وأنا أسجل الحقائق .. وهي حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون في حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسي بلا مقدمات ، أقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضي يسموننا حكومة العسكرين ،

لا حكومة الثورة ، ونترك أذئاب العهد الماضي يصفوننا بأننا حكام جدد . . ونحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام . . . بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل أبطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم !

سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود أبو الفتح البطل الشعبى الباسل .
وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية وللدستور . !!

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة . . وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ما سلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى واصغينا الى هذيان أفرادهِ . !!

أقول : كيف حدث هذا ؟ . . كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق . !!
اذن اسمعوا . . .

مرة أخرى أعود الى الصين . . .

الى حيث قامت ثورة وتغير نظام . . وأقيم حكم جديد وأحب أن أقول اننى اخترت الصين بالذات ، لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا . . مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار . . وذل وحقارة وعراة وجياع .

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم - أى ثوار الصين - لم يصنعوا أكثر مما صنعنا . . حتى الآن . . فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين » .

والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر .

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة .. انتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش بأعدائها دوما .. وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر أنها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ... لكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا .. كنا نعتمد على الوقت .. فالأيام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا .. لا الممارك .

وأعود الى الصين فأقول انه بالرغم من الممارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لأعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم يا حضرات السادة . انتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت

للشعب الصينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير ، عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت ، فمن هو هذا الشعب ؟!

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين، والبورجوازية الصغيرة، والبورجوازية الوطنية، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال ، فلا بد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولا يعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين . . . فالديمقراطية للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين . واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفتنى الدولة » .

هذا ما حدث فى الصين . . .

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمى الشعب من الرجعيين . . وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق . . فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن . . ونحن نفخر بها .

ثم كان أن قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام .

واذا كان القضاء على الاقطاع ديكتاتورية فما هي الديمقراطية
اذن ؟ قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر ويا حكماء الزمان !

ان الثورة كان لا بد أن تمضى فى طريقها . . كان لا بد أن
تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى -
والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها - وهي
بيضاء وليست دموية - الا اذا أخل الطريق أمامها من كل الأعداء .

فكيف يمكن إبعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟!

هل برلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أم
بحرية الصحافة . . . صحافة « أبو الفتح » والأحرار الدستوريين
وبقية الاذئاب ؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء . . . كما حدث فى
الصين ؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السابق عن الطريقة التى كان يمكن بها
إبعاد الاعداء عن طريق الثورة ؟!

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع
البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد
خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين ؟!

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الأسئلة عرفنا أن جمال
عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور
عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى .

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون
الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا
أن نترك الأحزاب كلها بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبي،
وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا .. لإحرار
الدستورين .

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو الى ما
تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحدائنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس
الأشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو .

أى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة
الى النحاس وسراج الدين والهضيبي وابراهيم عبد الهادى وكل
أفاق دعى يريد أن يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

أى أن جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندي
من الأحرار هؤلاء جميعا ما قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الا من
أجل النحاس والهضيبي وعبد الهادى وهيكى وباقي الساسة الذين
حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة ، ولم يرفعوا عن الشعب
ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء ؟!
أى منطق هذا ؟

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها
جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الأحرار فى الجيش طوال أعوام
قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟ .. هل كانوا يعدون كل هذه
الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكى
وعبد الهادى ... وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد
الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شيء كما هو بعد طرد فاروق .

يبقى البدرأوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنا به .. ويبقى الامراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ..

يبقى كل شيء ما عدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية ؟ وهل هذا ما كان يريده الشعب ؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود ؟!

هل هذا ما كان يجعل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوربا ، وفى اصلاح اليخوت والقصور واعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الأفاقين العاطلين ؟!

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهادى وهيكى وباقي القطيع السياسى بدستوره وبرلمانة ، والذي كنا سنتركه يحكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية ، واعلان الجمهورية والغاء الألقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعداد العدة لكفاح الاستعمار ، ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية ؟

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفرادہ بلقب «سيد» لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة ؟!

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا انه سيكون معهم باعتباره
يمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك
لقطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟

وماذا أيضا ؟!

هل كان يمكن - لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع
ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو - أن تتم الانتخابات فى البلاد
وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم
بأرضها ، وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها ؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر
هذا الكلام ، ومطلوب من أدعياء الديمقراطية وللصوص الحريات أن
يجيبوا عليها ..

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم ، اذا
لم تكن انتخابية مسجلة بأسمائهم ؟!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغدا وأشهرا
ناعمة فى أوربا وثيابا من باريس وفصرا فى الحلاء .. وكلابا تأكل
أطيب أرزاق البشر ؟!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى
أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج
على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل
والفلاح ... وحتى من أبناء السبيل ؟!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى
العاملين ، وسيطرة الأفاقين والمرتشين والخنونة واللصوص والتجار
والسماسرة على مصائر الملايين ؟!

ثم ما هي حرية الصحافة في رأيهم اذا لم تكن التجارة في
الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع
والمشعوذين ؟!

أليست تلك هي ديمقراطيتهم التي يلطمون الخدود ويشقون
الجيوب كمدا عليها ؟!

وأعود الى السؤال السابق ، فأقول انه كان لا يمكن للثورة
المصرية أن تمضي في طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق ... ثم تركت
الأمر كما هي بعد ذلك .

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الأمور
بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة
الاجتماعية ... الا اذا كان أدعاء الديمقراطية يرون أن العدالة
الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدي الباشوات والهضيبي وعبدالعزیز
البدرأوى ؟!

وفي هذه الحالة .. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال
عبد الناصر ورفاقه في أماكنهم كمسؤولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف
الشعب في فترة انتقال حدودها من تلقاء أنفسهم .. أم كان من
أصول الديمقراطية التخلي عن تلك الأهداف الشعبية لتحقيق أهداف
سراج الدين والهضيبي وعبد الهادي وباقي القطيع ؟!

وقد بقي جمال ورفاقه في أماكنهم .. واستمروا في عملية
قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا يعملون آناء الليل
وأطراف النهار .. في الصيف وفي الشتاء .. في البرد وفي القبط
.. ويواجهون الأحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكي لا يعطلهم
الأعداء وقطيع عهد أسرة محمد علي، اتخذوا موقفا حازما حيال كل
نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذئابهم .

.. وكان لا بد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الأفاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر ، وعندهم حق ، فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا سياسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى ، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالأعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ؛ يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الأبد ، يعيش هو ولتمت الألوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟!

هل اذا وقف أبو الفتح ، ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع ، واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية ؟

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة ، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا ألقينا بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية ؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ،

ومئات غيره ، وتركنا الهضيبي ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر في الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور ؟!

ان طريق الثورة كان مليئا بالأعداء .. وكان لا بد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقي فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الأعداء عن الطريق بقانون الثورة . بالحزم والصمود وبالأصرار على أهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لأننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية ؟!

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة ... وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين في قراهم وفي قصورهم فيهدمها فوق رؤوسهم ويأخذ الأرض التي هي من حقه .. لو كنا تركنا الشعب يحطم رؤوس الباشوات والبكوات وأبناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء ألقابهم ووقف نشاطهم ؟

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور ؟!

الثورة وطريق الدم

انتهى حديثي في الفصل الماضي عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ..

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصبح أيضا مع الدستور ؟!

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل
الذين أراد الشعب الخلاص منهم ، الملك والاستعمار والباشوات
والبكوات وملاك أرض الشعب ؟!

وهل كنا حقا قادرين على إبادة كل هؤلاء الأعداء في معركة
واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا
والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعا فعلا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب
والا كانت مهزلة لا ثورة .

ان التاريخ يقول لنا ان كل ثورة في أى بلد من بلاد هذا
العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان - الشعب
وأعداء الشعب - مئات وألوف بل وملايين من الضحايا .

ولكن - كما سبق أن قلت في مقالاتي السابقة - الفرق بين
الثورة التي قامت في مصر وبين كل الثورات الأخرى هو أن قيادتها
ظهرت بين صفوف القوات المسلحة . . أى ظهرت بين نفس
الصفوف التي كانت تحمى أعداء الشعب .

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار
. . لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على الإطلاق ، لكنها
أصبحت فعلا خاضعة للشعب في صباح ٢٣ يوليو ، ووجد
أعداء الشعب أن القوة التي كانت تمكنهم من السيطرة على
البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى إبعادهم عن طريق
الشعب ! . .

وفوجيء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا في القضاء
على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى في أى بلد من بلاد العالم

٠٦ فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن
امكانياته .

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، وأعداء تلك
الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة
معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم - جميعا
- أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للأمر الواقع ، لارادة
الثورة .. وقد كان ! لكن لأنهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة ،
ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون
ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة
بالمؤامرات ، ما دامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام
القوات المسلحة !

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل
مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ،
يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !

كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب، وكأن الديمقراطية
هى ترك الباشوات وترك الهضيبي يلحق السذج سورة آل عمران
وأحدث وسائل النسف والذبح .

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود أبو الفتح فى مكتبه
فى احدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو
حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبد الناصر عجلة
التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات
مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على أيدي الشيوعيين لأنهم تأمروا

يضاً على الثورة مع الاقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل
الاعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها
الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين !

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية ؟!

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟!

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية .

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب ؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب ، وهل كريم ثابت
هو الشعب ، ومحمود أبو الفتح وعدلى للموم وحافظ عفيفى
وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبية .. هل
كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى
طريقها هم الشعب ؟!

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها -
وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم - يصبح قاداتها من
الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟

وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو
كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع
والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماصرة ثم
انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه
أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة
الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية
الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث

هذا لأصبحت في هذه الحالة فقط .. وفي هذه الحالة فقط
قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للأسف الشديد - وأقول بمرارة - لم يحدث أن قامت
تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو .

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر في البلاد
حتى كان يمكن بعد إبادةهم بالسلاح أن يطمئن قادة الثورة على
مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطي في الحال ،
وتعاد كل الحريات في الحال ، بعد أن خلت مصر من الأعداء !

لكن .. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت في طريق
آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد
للاتجاه في هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة .

لا - وأقولها بملء فمي - فنحن كنا على استعداد لكل
احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة في ميادين القصور الملكية
وفي قصور الباشوات والسياسة الخونة والرجعيين ، وفي قرى
الاقطاع وفي القنال .

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا أو بحكم الامر
الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ
انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية في صباح ٢٣
يوليو .

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة
مسلحة ضد جميع الأعداء ، الا أننا كنا نضع في حسابنا دائما
مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معركة
كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقي الأعداء ؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟
ألم يكن محتملا أن يموت الألوف بل ربما الملايين من أبناء
عرب ؟

ألم يكن محتملا أن تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى ساحة
ب يحترق فيها الأخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل
حياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما في تلك المجزرة طال الزمن
قصر . . لكن بعد النصر هل كان من الممكن إعادة بناء هذه البلاد
. أن دمرتها الحرب ؟

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب في
رته غير الدمار والفناء . . وإذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه
لريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب
نرى الشعب . . .

إذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح
استقاط النظام الملكي بلا دم وأعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى
ل الباشوات وحكمهم بلا دم .

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من
لى ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال
حياة . .

أقول إذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصارات
ثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخي المجيد ضد الديمقراطية
وأية ديمقراطية ؟!

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين

يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهامهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بل الذين أصيبوا بالسوء هم أعداء الشعب .. هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدر اوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصابتة الناسفة ، وعملاء اسرائيل وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها .

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالديكتاتورية .
وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لأعداء ثورة الصين :
« نعم يا حضرات السادة ، اننا نقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع » .

الضباط الأحرار

٤ المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنة الكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التي صنعها الخونة السماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. في ذلك العام بدأت مرحلة جديدة في الموقف السياسي في البلاد .. فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأساة التاريخية كان على أعداء الشعب أن يبحثوا عن مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار وغضب لجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول ..

وكان تنظيم الضباط الاحرار في ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة أثناء المعركة في فلسطين ..

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها - أي الخسائر - كانت قد بلغت الى حد أن الضباط لاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم في هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن أن يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب .

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم في البداية

جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد
محيى الدين وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطوة مما
حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم
عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادي وكاتب
هذه السطور .

وفي يناير عام ١٩٥٠ أجريت انتخابات رئاسة الهيئة
التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع .

وعلى أثر هذا مضيئنا نستعد لحوض اضخم معركة في تاريخ
الشعب . بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الاعداء جميعا تحت سماء
هذه البلاد .

وقد كانت البلاد في ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد
العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من
شعوب الارض .

لا عدالة ولا حرية ولا حق في أرضنا ، بل فساد واستبداد
وحكم مطلق وسמסرة يتاجرون بكل شيء ، بالسياسة وبالأرزاق
وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد
كانوا على ثقة من أنه لا توجد قوة في الوجود يمكنها زحزحتهم
عن أماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذي
يسير الأمور ، كل هذا رهن مشيئتهم .

لا يوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر أبطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها أن تعد الملايين لهذه المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة - فعلا - لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهري .. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شيء واحد فقط ولا شيء غيره .. من أجل أن يبقوا كما هم باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاء وسلطان .. فمن اذن يمكنه أن يقود الشعب ويكمله ضد جلاديه؟! .. الاخوان .. ان مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم .

السعديون .. انهم لا يمثلون سوى أنفسهم .. ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. بقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. بقاء الشعب فى القمقم حبيسا لا يجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين! ..

من يتولى المعركة ؟

كان لا بد من معركة مهما كانت الظروف فمن المبال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم وأعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال أن يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الابد
تدوسهم أقدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف
يمكن للمعركة أن تبدأ ؟

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها وكما قلت كان لابد أن
تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب
يوم أن ضمت قيادته الاقطاع .

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لا يؤمنون سوى
بالهضبي وبالسّمع وبالطاعة . . وبولى الامر الملك الكريم . . كان
لا بد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركة الحياة والحرية
غير مرتبطة بقصر أو بحزب من الأحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى
الوطنية ، وفى كل شيء . . كان لا بد أن تكون قيادة تربط مصالحها
بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهاية لأن فى عدم
صمودها الفناء لها . . . وللشعب أيضا . .

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة . . وكيف يمكنها لو وجدت
أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق أن أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية،
أن ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر
محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة . .

وكان لا يمكن أن تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات
والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الاعداء
فمن غير القوات المسلحة كان لا يمكن للشعب خوض معركته ضد
أعدائه ، لأن القوات المسلحة كانت - فى هذه الحالة - ستندمج الى
الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ،
ليس لان وحداتها خارجة على الشعب ، بل لان قيادتها كانت خاضعة

لإعداد الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الأعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتي تحمي النظام في البلاد ، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور . . . يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التي تؤيدها وتحميها القوات المسلحة . .

الثورة في عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش . . وكان تنظيم الضباط الأحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفا في عام ١٩٥٠ .

وبدأت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار تعد العدة للضربة الكبرى .

كان كل فرد في تنظيم الضباط الأحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت . .

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة في التحرر .

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام ، وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة . .

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده . .

كل كلمة في تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأي العام في البلاد . . فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن

ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنا به ونحن
نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك
ونحن نطبع مئات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل
منا يكتل ضباط الجيش في جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة
الشعبية ..

أما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة
العسكريين .

وقدر الموقف فعلا على أساس قلب نظام الحكم القائم
واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المدة لتنفيذ الخطة كاملة في
عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. أى أن الثورة كانت ستبدأ عام
١٩٥٥ ... وليس في يوليو عام ١٩٥٢ !!

وفي يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئة
التأسيسية للضباط الاحرار وأعيد انتخاب جمال عبد الناصر
رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على
أساس تقديرنا للموقف في البلاد في ذلك الوقت ، فوجئنا بالبكباشي
عبد المنعم عبد الرؤوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار
كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرؤوف من يستمع اليه . كنا جميعا
نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لابهية
ما مهما كانت أهدافها .

وأصر عبد المنعم عبد الرؤوف على اخضاع الضباط الأحرار

جماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره
جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن أن يقبض عليهم
لأن يتمكنوا من عمل شيء .. من يرعى أطفالهم وزوجاتهم
هلهم ؟

وقال ان انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا في حالة
إذا أصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا
لادنا .

وقلنا له جميعا اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن
نمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية .
فنحن نعد ثورة لا مؤامرة !!

ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنيها لان الذى نعمل من أجله
هو مصير الشعب لا أطفال الضباط الاحرار ..

وقلنا له ان ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى ،
فالجيش يجب أن يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه
الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هي واهدافها هي ..
وخططها هي !!

وقلنا له نحن لا نستطيع أن نبيع افكارنا ومبادئنا من أجل
أطفالنا

وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب ان يسان
من نفوذ الهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس
جيش الهضيبي أو الوفد أو جماعة معينة .

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش أكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الأحرار أفراد فيها ..

لم تكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة أن تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..

فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية .

ثم بدأ القصر يتآمر ، وبدأ الوفد يتراجع ، لكن الراى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه .

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها فالضباط الأحرار كانوا قد بدأوا يساهمون فى معركة القنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا اننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لكن يخضع الجيش ؟!

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الأحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعد تنفيذ الخطة .

أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة .

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكي تبدأ الثورة
معاركها مع اعداء الشعب في العلن وعلى مشهد من العالم كله ..
هنا أود ان أقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا
تتحكم الصدفة ولا شيء غيرها في الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة
التأسيسية للضباط الاحرار والذي انتخب في كل مرة رئيسا ،
والذى كان عليه ان يقود الثورة في العلن مثلما قادها في السر قبل
٢٣ يوليو .. اقول كان من رأى جمال ان يكون قائد الثورة
حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط
في الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية
.. لكننا اتفقنا - جميعا - في النهاية على ان يتولى احد الضباط
الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى
وفؤاد صادق ومحمد نجيب .

حقيقة فؤاد صادق

وبدأت الاتصالات بعزير المصرى ، ولكن الرجل أصر على ان
يظل أبا روحيا للثورة وأقنعنا برأيه .
وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء محمد نجيب ..
وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صادق ، ليعرف
تواياه ..

وكان عثمان المهدي - رئيس هيئة اركان حرب الجيش ..
قد استقال من منصبه في ذلك الوقت ولم يكن معقولا ان يقاتح
صلاح فؤاد صادق في أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد
نجيب لا يبرى أن هناك تنظيما للضباط الاحرار .

وأیضا لا یدری ان هؤلاء الضباط الاحرار قد اعدوا انفسهم للقیام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ما كان یعرفه فؤاد صادق هو ان بعض ضباط الجيش الصفار لهم رأى معین فی الحالة وان هؤلاء الضباط الصفار لا یتعدى نشاطهم اعلان السخط والفضب والاسی ..

وأعود الى مقابلة صلاح سالم بفؤاد صادق ..

ذهب صلاح الیه فی بیته ، وقال له ان الرأى العام بین الضباط فی الجيش یرشحہ لتولى منصب رئیس هیئة أركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط یمکنهم مساعدته لکی یتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح یحدثه عن هذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فی الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعین رئیساً لهیئة أركان حرب الجيش ..

وأثناء الحديث دق جرس التلیفون ، ورفع فؤاد صادق السماعه ، وكان المتکلم هو الیوزباشی مصطفى کمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فی ذلك الوقت ، وقال مصطفى کمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعیننه رئیساً لهیئة أركان حرب الجيش سیوقعه مولانا فی الصباح .

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غریبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لا یزال یمسك بسماعة التلیفون : بتقول ایه یا مصطفى ؟ . زعق شویة وأشار فؤاد صادق لصلاح سالم ان یقترب منه ، واقترب صلاح وقرب اذنه من التلیفون کما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقى یتحدث عن مرسوم تعین فؤاد صادق الذی سیصدر فی الیوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التلیفون .

عرف شخصيته

في تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق .

فالرجل شعر بعد أن أبلغه مصطفى صدقي بأمر تعيينه أن
- الراى العام - للضباط في الجيش والذي حدثه عنه صلاح
سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة ،
فبعد أن كان قد أبدى استعداداه لتحقيق كل رغبات الضباط
وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة وبلا
مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل في
تعيينه فقد عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال
لصلاح بعد مكالة مصطفى صدقي بالحرف الواحد :

- اذا كنت بقيت رئيس اركان حرب الجيش فده بمجهودى
انا .. وبدرامى انا .

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل في
الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش .

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

- لازم تفهم انت والضباط اللي معاك الكلام اللي بقوله
ده .. لأننى سأنفذ القانون .. وأنصحك انك والى معاك تدوروا على
مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل اولادكم أحسن !!

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف ا

- دى آخر مرة اخش فيها بيتك ... السلام عليكم !!

وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول له وهو
فى طريقه الى خارج البيت :

— بيتى مفتوح .. !الى يحب ييجى ييجى .. واللى مايجيش
هو حر ..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد
صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!

أما لماذا لم يعين فؤاد صااق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة
أركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الأخيرة حسين
فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الأحرار
دورا حاسما ..

أين كان محمد نجيب ! ؟

كيف تم الاتصال بنجيب ! ؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة او أى
شئ !!

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلالاح الحدود ..
ولم تكن له صلة ما بالحركة . ولم يكن يدرى مثل فؤاد صادق
ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة
للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ..

وأعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى
جعلت اسم نجيب .. يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه
مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة .

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سري عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر .

وتردد فى صفوف الجيش أن محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سري عامر . لا لشيء الا لانه ذنب للسراى !! ومن هنا كان العطف على نجيب .

شعر الجميع انه ضحية لحسين سري عامر ، ولو كان نجيب نقل او احيل الى المعاش وعين بدلا منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الراى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لأن الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره . وفعلا حدث عقب ان سري نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

— ان الضباط يطلبون منك ان تبقى كما انت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك .

وقال له جمال ايضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها !!

هكذا بدأ اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى .. ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح امامه ابواب التاريخ !

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت في الفصل السابق عند البداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الأحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك في عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته في موضوع قيادة الثورة ، بل لاقتناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه في سلاح الحدود إلى المشاة ، ليحل حسين سري عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر .

وشرحت في المقال السابق كيف حظي اللواء نجيب بتأييد الرأي العام في الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الأحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد أي ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدي عميل السراي حسين سري عامر !

وفي ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجري في الجيش ؟!

لم يكن يعلم أن في الجيش تنظيماً سرياً ضخماً يباشر نشاطه تحت الأرض استعداداً لقلب نظام الحكم . !

ولم يكن يعرف أنه كان - في ذلك الوقت - المرشح الثالث لقيادة الثورة في حالة ما إذا لم يتول قيادتها عزيز المصري أو فؤاد صادق !

وفي المقال السابق عرف القارئ كيف صمم عزيز المصري

على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح
الثانى اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء
وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنايته ، عرف من أى
طينة عجن ذلك الرجل !

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق اسقطناه من حسابنا
ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله
الى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيد له أن
الجيش يعتبر اللطمة التى أصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد
الجيش اللطمة بأشد منها . . . للقصر !

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم
الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا أن تكون
اللطمة عن طريق نادى الضباط !

اختبار قوة الاحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد
نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى
المجلس ، لأن مديره حسين ترى عامر خصم لنا . . ولأنه عين القصر
المفتوحة فى الجيش . !!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط
الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا
أن هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى
القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها
تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ،
وانتصارنا فيها يشعرونا بالثقة ، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق
فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد

انتصارنا في معركة النادي سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار .

وقد رنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادي لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشعر بهزيمة عمالته في تلك الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز في معركة النادي .

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننا وبين القصر ، وشعر القصر بأن في الجيش نشاطا مريباً ، وان في الافق سحباً تنذر بالشر ، فأصدر أمراً بتأجيل انتخابات نادي الضباط . !

التنظيم يتحدى أمر التأجيل !

وقد كان علينا أن نمضي حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل . فصدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادي في نفس التاريخ المحدد للانتخابات وكان محددا لها ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ .

وفي الموعد المحدد كان في نادي الضباط عدد كبير من الضباط الاحرار . واعلنوا على الفور احتجاجهم على أمر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رئاسة الجيش لتقرر ما تشاء !

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رئاسة الجيش لهذا التحدي ، لكن يبدو انها - أي الرئاسة - خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب .
ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا اسماءهم اللواء محمد نجيب . . وهو
الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعد له نحن
أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستتغير مجرى حياته . !

ونجحت خطة التنظيم . . فكل الذين سجلنا اسماءهم فى
قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة . !

وليس هذا فقط ، بل مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ،
فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى . !
وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث
ما توقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ،
وازدادنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا . . !

وجاءت الاحداث . !

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم تكن
نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة - يناير سنة ١٩٥٢ - واجتمعنا
على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن
ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ،
عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالذير
لنا . . وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا أن
نكون على استعداد خلال شهر واحد . . وبذلك تغيرت الخطة . !

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار
الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ،
فالقصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية
بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعضاء الا بثورة ،
لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضع الموقف السياسى فى البلاد

وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه
لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار .

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهي مع
الشعب حينما وضد الشعب في أغلب الاحيان !

وكانت وزارة على ماهر التي تكونت عقب حريق القاهرة
عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد
بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنية نهائيا على أيدي الخونة
والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر أن طارت في فبراير .. أي
بعد أيام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل أن أمضى في سرد أحداث ما بعد حريق القاهرة ، أود
أن أقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا .. لازيح الستار عن سر آخر
غير سر محمد نجيب !

ان رشاد مهنا لم يكن في تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن
واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث
بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرؤوف من الجمعية التأسيسية للضباط
الاحرار أن اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ،
وعارضت رأى جمال لأنى كنت أعرف شخصية ذلك الرجل .. من
تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان
رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة
فى البلاد . كل ما كان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما

ضد القصر فقط ، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض أن ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !

وهكذا تراجع رشاد مهنا في عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ . . . ولذلك قصة سأرويها فيما بعد !!

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعد أن طارت وزارة علي ماهر في فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبد الناصر مرة ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه في موضوع تنفيذ الخطة . . أي قلب نظام الحكم !!

وهنا شعر رشاد مهنا أن المسألة جد ، وان الجيش فعلا يمكن أن يفعلها - اليوم - ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا في هذه المرة على الاشتراك في تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، أي وراءه رأي عام في الجيش . . ! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس ان رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بالاستعداد . . وكان ذلك في مارس عام ١٩٥٢ .

رشاد مهنا يتراجع . .

وفجأة بعد أن أعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش . .

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسة الجيش للخدمة خارج القاهرة . . ويبدو أنه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك في قلب نظام الحكم . . أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليباعد عن هؤلاء الذين يريدون توريثه في عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش
وكان لابد من تعديلها بحيث لاتعتمد على رشاد مهنا ، وألغيت
الاورامر وأجلت العملية الى أجل غير مسمى .

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار وأخرجنا
رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبد المنعم عبده
الرهوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحي أنا شخصا لأنى كنت
أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع زملاء .. وكان رأيي
دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه .

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد
الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح
الحدود ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدري ما يدور حوله ..
لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شيء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش
نظام الحكم ؟

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين - مايو عام ١٩٥٢ - ان
فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف أى شيء عن الضباط الاحرار ،
وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح
سالم .

ولم يكن يعرفهم على أساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى

يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على أساس أن لهم رأيا عاما في الجيش فقط .

هكذا كان وضع قائد الثورة الذي حرر البلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد .

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب في عام ١٩٥٢ أى في عام الثورة ، رجلا مسالما يرى أن الرغبة السامية لها احترامها ويرى أن المسألة في الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصالح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذي تحدث عنه العالم كله واشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه .

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل أبى وأبيك ..

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شىء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال أى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة أو ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله أن التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !

ولم يكن يخطر على باله أن جمال وعبد الحكيم وصالح الذين يراهم أحيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون

العدة لكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل ..
انت زعيم !!

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ .. فى عام
الثورة !! ..

موظف كبير من موظفى الدولة .. اساءت اليه السراى عندما
نقلته من وظيفته ، فقرر القدر أن يعوضه عن هذه الاساءة الهيئة
بوضعه على رأس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

وأعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم
أمر تنفيذ الحطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من
نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة
وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هذه السطور .. كنا فى
العريش ورفع ..

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى اجازة
مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى اجازة أيضا ، ثم قطع
جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعد أن سمع اشاعات عديدة عن
الاجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الاحرار .. وبعد ان
سمع ان هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين
أفراد القوات المسلحة للبطش بهم ! ..

١٥ يوليو .. ونجيب لا يعرف !

وفى ذلك الوقت أى فى يوليو .. أى فى شهر الثورة ، كان
محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شئ عن أية
ثورة .. !

ربما كان أمله الوحيد فى شهر يوليو ان يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان أملنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ ١٩٠٠!

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف أحد حقيقته فى اللحظة الأخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق . ؟!

لم يكن هناك وقت على الاطلاق أمام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الامر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش .

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الاوامر بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ .. كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود .

ولم تصدر الاوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضباط الاحرار عليه سلطان أو نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار،
وكان علينا أن نبدأ فى العمل فوراً لنضيق على القصر فرصة
البطش بنا .

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمال وحسن
ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين
وبغدادى وكان ذلك الاجتماع هو اخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية
التي كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفع فى ذلك الوقت ، وفى
ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا
أن نأخذ بمبدأ المبادأة حتى لا نؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس
القصر الى معرفة أشخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة
الجيش المختلفة .

الوقت سيد الموقف ..

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشعر
التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط
الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعل حدث ما كانت
تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدأت التحركات بين وحدات
الجيش على أثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل
فى جهازه نتيجة تلك التحركات .. فهناك ضباط احرار كان عليهم
أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة .

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت
هو سيد الموقف .. ولا بد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على
الاعداء قبل أن تحدث كارثة .

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الاولى هى البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، أى القيام بقلب

نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا • أى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الحطة الاولى وتنفذ الحطة الثانية وقد كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع •

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة •• وعندما استعرضت الحطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر •

قال ان الاغتيالات لن تحقق اهدافنا ، لان النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات •

وقال جمال أيضا ان هذه الحطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الاحرار • وبهذا تكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم •

١٩ يوليو ونجيب لا يعلم ! •

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث •

وأبلغ جمال الهيئة أنه يمكن تنفيذ الخطة الاساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن أن يتم ليلة ٢١ و٢٢ يوليو •

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لا يعلم شيئا ولا يرى شيئا •• بل لم يكن قد عرف ان فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم •• وكنا فى ١٩ يوليو •

وقد صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يومية فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف

الليل .. وأبلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته
لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك
الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شيء
يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد
الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية ..

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود ..
كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته - وهو لا يعلم -
ويقال له .. أنت زعيم .

رقابنا .. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح
اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لا يعلم .

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، أى قبل الثورة بأربعة أيام .

لنتأمل - اذن - فى هذا الوضع التاريخى العجيب ، ولنتأمل
معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل - أى رجل - زعيما وقائدا
لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين .

أليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ الا يذكرنا هذا بمصباح
علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول :
شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل
ما تطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان .

المالقة على باب نجيب ..

قلت اننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى
مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا
معينا فى الخطة .

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت - فى الفصل السابق - فى أجازة مرضية .

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بـ زكريا محيى الدين .

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقبّل نظام الحكم .

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل . . وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط .

وأقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الالف ان نجيب لم يكن يعلم لماذا جاء جمال وعبد الحكيم . . وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة . . وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء . . وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة . . فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة - حتى نجيب - كان يتخيل انهما جاءا ليقولا لنجيب : أيها القائد . . أنت زعيم الشعب .

والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث - كما قلت - حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى . . وقال جمال عبد الناصر :

- احنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة ومحتارين مين اللى يرفعها ؟

وقال جلال انه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى .

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهاً وأعطاهما لجلال ندا كمصاريف للقضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب ، وكان عليهما أن يتظاهرا أمام ندا وهيكلاً بأنهما ما جاءا إلا للاستفسار عن صحة نجيب .

وظل جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا أمام مجلس الدولة .. وأخيراً لم يجد جمال وعبد الحكيم بداً من الانصراف .. دون أن يفتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. أما هو فكان لا يدري ماذا فى رأسيهما .

وبعد تلك الزيارة - فى ٢٠ يوليو - لمس جمال انه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية . اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعاً تحت المراقبة .

وأمام هذا الحاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الحطة .. أى بعد القيام بالثورة .

أزمة النادى وأزمة الحكم

وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الحطة التفصيلية قد فرغ منها بعد .

وأجلت العملية من ليلة ٢١ - ٢٢ الى ٢٢ - ٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين مازالوا فى الإجازة ، وكان

كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال معهم .. يبلغهم تطورات
الموقف أولا بأول .

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

أى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!
ان نجيب لم يعرف . كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة
نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم .

أحداث الليلة الأولى

أحداث الليلة الأولى

تأجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة ٢١ - ٢٢ الى ٢٢ - ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة .

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم ، ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة .

وكنت قد قلت فى مقال سابق ان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه - ولأول مرة - أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة .

ثم ليبلغاه أيضا أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه - أى التنظيم - قد اختاره ليكون قائدا للثورة وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنوا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من أجله جمال وعبد الحكيم ، كان يعتقد أنهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه - كالعادة - بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط .

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقان يتحدثان عن كل شيء ما عدا - الثورة - وقلب نظام الحكم .

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضا أن كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية في مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له .

وفى ذلك اليوم - ٢٠ يوليو - قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لإبلاغه بأن الثورة ستقوم وأنه قائدها إلا بعد انتهاء العملية ونجاحها .

لقد قال جمال ان بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة، بعد أن ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة .

الوزارة الخامسة والأخيرة !

وبعد هذا أى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢ - ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم أكن موجودا يومها فى القاهرة وأيضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفع .

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت - باشا - وزيرا فيها .

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة .

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم ،

وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة ، لا يكاد أفرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك أصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ...

كيف يحكم الشعب ؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟!

ان الشعب كان لا يحكم على الإطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر .

فكيف - اذن - كان يمكن أن يحكم الشعب .. والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟!

كان حتما - اذن - كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الحائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا إلى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم .

كيف ظهرت القيادة الجديدة ؟

وكما قلت وسأقول دائما ان الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها .

قيادة غير وفدية ، لأن الوفد انسلخ عن الشعب عندما ضمت
قيادته الاقطاعيين .

وغير قيادة السعديين والأحرار الدستوريين الذين يمثلون
مصالح السياسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية .
وغير قيادة الاخوان ، لأن الاخوان أهدافهم هي استغلال الدين
لمصالح الرجعيين ..

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لا حكامها ..
أين - اذن - كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة
المصرية ؟ ...

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن أن
يخرج زعماء يولون وجوهم شطر الشعب ويعطون ظهورهم
للاستعمار والقصر !

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهي الصفوف
التي تضم ألوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين
- بأية مصالح - مع القصر والاقطاع وحاميها الاستعمار ! ..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح
الشعب ، ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح .

وكانت منشورات الضباط الأحرار تعلن أهداف تنظيمهم
الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى - أى
المنشورات - كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة
وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتل فى صدور الملايين
المصرية ! ..

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط .

والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها كان للضباط الاحرار أفراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت - كما قلت - ليلة ٢٢ - ٢٣ ، للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى الطائرة نفسها التى تسافر الى العريش عادة كل يوم - اثنين - لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا .

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا وخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة .

جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الأساسية ستنفذ ما بين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !

وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر .

وقال جمال سالم انه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة،

فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس .

وتركت حسن ابراهيم لأعود الى رفح سريعا ، وأعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر ، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا . . وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح !

وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة .

من السينما الى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا . . اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل جمال عبد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة .

وكانت دار السينما تعرض - كالعادة - ثلاثة أفلام مرة واحدة وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث .

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته الاوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد ساعة فلما لم يجدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« **المشروع** ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم الساعة ١١ . . . »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما . . ليوزع الاوامر على الزملاء . .

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شقتى ، تاركا اولادى مذهولين مع البواب ! ..

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها .
اننى لم أجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر ، فاین أذهب ؟
كنت حائرا .. !

الملازم الذى قبض على !

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رئاسة الجيش ، لابد أن قواتنا قد اتجهت اليها مادامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى ولما رأى رتبتي خاطبني بلهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من أنه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ..

قال لى ألا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت أن تلك كانت صيغة الامر الذى يبلغه الضباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق !

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت أن العملية بدأت فعلا وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ..
وأردت أن أمر من « الكردون » الذى صنعتة قواتنا ، ولكن

الضابط منعنى ، وكان صارما جدا معى .. لانى لا أعرف كلمة السر .

كان موقفى رهيبا .. فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من « الكردون » الا على جثته ! فكيف أتصرف معه ؟!

كيف أقنعه أنى من الأحرار .. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا ..

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ، وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ..

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر .. ترى هل أصيب أحد من الزملاء .. ترى ماذا يصنع جمال الآن .. وأين عبد الحكيم .. أين الجميع وماذا صنعوا ؟!

وعدت بسيارتى ثم اضطرت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش .

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط « الكردون » كان يعرفنى .. لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفع ، وهو يعرفنى شخصيا قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد .

واقتربت من « الكردون » وقد استراحت أعصابى قليلا .. أضاء الامل فى صدرى .. سوف أمر اذن واشترك فى العملية !

وما كدت اقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب .. ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى .. لكن

يظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من انه عرفنى الا انه
كان لا يعلم انى من الضباط الاحرار فألقى القبض على فى الحال ..

وهنا شعرت بصدرى يمتلىء بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر
حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع
ل عنده فى معركة الحياة أو الموت .. فلم يصدقنى لانى لا أعرف
كلمة السر ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل وزاد من هلعى أن
أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها .. !

يا عبد الحكيم .. أنا أنور .. !!

وفجأة أضاء الامل مرة ثانية صدرى .. وكنت مع الملازم
صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد
شبه صوت عبد الحكيم عامر .. واجتاحنى شعور بالخلاص ، كان
الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد
لها أماكنها .. وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود
والضباط تمر من أمامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم !

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى :

يا عبد الحكيم .. يا عبد الحكيم .. أنا أنور .. !

ورأيت شبح عبد الحكيم يقترب منا .. وهنا فقط أفرج عنى
صديقى الضابط !

البطل الصامت .. !!

ومضيت مع عبد الحكيم .. لم يكن معى سلاح ، وناولنى
عبد الحكيم طبنجة .. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع
الاسلحة الصغيرة ..

وبدأت أسأل عبد الحكيم فى لهفة عن الموقف .. وكان
صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحكيم :
- رئاسة الجيش سقطت ..

وصمت ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب ..
قال لى :

- الطلقات الى انت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة !
ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد
معركة رئاسة الجيش ، وأنه هو الذى احتلها بجنوده !

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل
طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقدم
وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتسالييم ..
وكان تصرفه ذاك أشبه بالاساطير التى تروىها لنا جداتنا ...

ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا
صنعه يوم نيتسالييم .. انه صامت على الدوام ، لا يتكلم أبدا عن
نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!

لقد كان عبد الحكيم عامر دائما بأسلا حاسما يخوض معاركه
بايمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ !

انه فى يوم نيتسالييم بمسدسه وعساكره من خلفه .. وفى
يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..

وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام ١٩٥٤ حين تدخل
ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على
وشك أن تقع بعد دقائق ..

أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا اسـطورية
يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أو ديناميت !

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا ٠٠ الى قصة سقوط رئاسة الجيش ٠٠ بمن
فيها من قواد !!

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه أحد
ضباط المخابرات ، اليوزباشى سعد توفيق وهو من الضباط الاحرار
وابلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وأن
حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد دعا قواد الوحدات
الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ٠٠

جمال كقائد ٠٠

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم ٠٠ بعد أن عرفت قيادة
الجيش خطة الضباط الأحرار ٠٠

ولكن جمال عبد الناصر لم يتراجع ٠٠ ان العملية قد
بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل
جميع قواتنا الى مراكز تجمعها ٠٠ وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاء القواد
الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل التطورات كان اللواء محمد
نجيب لا يزال فى منزله ٠٠ لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا !

كيف نحت الثورة؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن - واللواء نجيب لا يعلم ..

وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة في ثوان .. وبقوادها .

لقد كان بين الذين وقعوا في قبضة الثورة في لحظاتها الاولى رئيس هيئة اركان حرب الجيش بلحمه ودمه . !

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتنا طيبا ، كما وفر علينا جهودا ضخمة في نفس الوقت ، فبعد أن علم جمال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الحطة كان مفروضا أن تقف جميع العمليات التي سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو .. أى تقف الثورة ويبقى النظام .. !

وهنا تتضح شخصية جمال كقائد .. انه لا يتراجع .. انه يصمد .. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها .. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة في مبنى رئاستهم ، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة في الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد في منازلهم .. كل على حدة !

لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد .. أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجيء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم - اليوزباشى محمد شديد- نحو

مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار .. وظن جمال أن تلك القوة
أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة للقوات التي ستحشد لها لاختام
الثورة . !!

وتتضح الحقيقة .. ويعرف جمال ان اليوزباشى « شديد »
جاء بتلك القوة التي تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر
من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر أن يشترك بجنوده فى
المعركة قبل موعد بدئها بساعة . !!

وكانت تلك المفاجأة مكتملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة ،
واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى
الرئاسة . !

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن
تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة
الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل . !

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود
ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ،
وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة . !

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين .

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معيناً فى
أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة .. ولعل
جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه ..
كان يطوف بأرض العملية كلها . !

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة

أركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه ، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجه الى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب . . ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى . .

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب . . ورد عليه جمال بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية ! وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحدث من الاسكندرية ليطمئن على الموقف . . وسمع جمال النجومى يقول له :

– حسين فريد وهوه بيكلمنى من شوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت .

ورد عليه جمال فى هدوء :

– لا . . مفيش حاجة أبدا !

رشاد مهنا مرة أخرى

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة – النجاح – المتفق عليها الى جميع وحدات الجيش خارج القاهرة . . فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار .

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال .

وفى العريش ورفع كان صلاح سالم وجمال سالم قد سيطرا

على جميع القوات هناك سيطرة كاملة ٠٠ بمن معهما من ضباط.
أحرار ٠

وفى تلك اللحظة وبعد أن سيطر جمال سالم وصلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا ٠٠ وكان وقتذاك فى العريش كما سبق ان قلت ، وطلب جمال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أبناء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش ، الا أنه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش ، طلب جمال سالم من صلاح حتاته - رئيس الدائرة الاولى لمحكمة الشعب فيما بعد - أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لأول مرة ٠٠ !

أين كان نجيب أثناء هذا كله ٠٠ وماذا كان يفعل ٠٠ والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وكل شىء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شىء لأن قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة ! ٠

فأين كان اللواء محمد نجيب ٠٠٠ قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ٠٠ بعد نجاح العملية الكبرى وبعد
أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه ٠٠ ويزود عنه !

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين
قيادة الجيش الجديد - أعنى الضباط الأحرار - وبين محمد نجيب ٠٠
وهذه حقيقة تعلن على العالم لأول مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية ،
ورفع جمال عبد الناصر السماعه ٠ وظن أن المتحدث هو اللواء
عبد الله النجومي أيضا ٠٠ يريد أن يطمئنه حسين فريد على الحالة !

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمد نجيب ٠٠ وكان
يتكلم من منزله ٠٠ وقال محمد نجيب بالحرف الواحد :

- « المراغى اتصل بى من اسكندرية ٠٠ وقال لى روح هدى
الحالة فى رئاسة الجيش ٠٠ هيه ايه الحالة يا جمال ؟! »

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد
الاهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه
نجيب فى صفحتها الاولى تحت عنوان ٠٠ قائد الثورة يسجل ٠

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

- دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالأسـتاذ مرتضى
المراغى يكلمنى من الاسـكندرية ويقول لى : الاولاد بتوعك
متجهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة ٠٠ قوم سكتهم أحسن
مش راضين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ما عنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ٠٠ !

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى
علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم .

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهسلالى
باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسهك .

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟!

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى
الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

— أنا أستاذك يا نجيب .. ومستقبل الوطن متوقف عليك ،
فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لان الانجليز سيحتلون مصر ، وتبقى
مسألة خطيرة .. فطمأنته وقلت له : « انى ذاهب لأرى الحالة
بنفسى » .

انتهى ما كتبه نجيب فى الاهرام عام ١٩٥٤ .

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة ما فعله
بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٣ يوليو .. انه كان فى منزله
.. لا يرى شيئا ولا يعلم شيئا .. ثم فى الساعة الثالثة اتصل
بجمال فى مبنى القيادة — كما قلت — وبعد أن كان كل شىء قد تم
وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الاحرار ! .

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن أوضح له الموقف كله ..
وأبلغه — لأول مرة — ان فى الجيش تنظيم اسمته تنظيم الضباط
الاحرار ، وان قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت — الآن — على جميع
القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح
٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :

– الضباط الاحرار قاموا بالثورة الليلة ٠٠ والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة ٠٠ واحنا عايزينك تيجى ، حانبتلك عربية تجيبك .

وهكذا عرف نجيب – لأول مرة – حكاية الضباط الاحرار !
وفى الساعة الخامسة صباحا ٠٠ أى بعد ساعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد أن عرف « جمال » يجلس – الآن – مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش أقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاسة الجيش ٠٠ وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيداع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة .

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس ٠٠ وكل شئ قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الحاطفة !

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القاهرة ، ثم خرج الناس من منازلهم ، وامتلات شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيادة ٠٠ ان الشعب يؤيد ما حدث ٠٠ ان الشعب يعلن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون . كل الناس . فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح ان الشعب فوجئ بما حدث ، لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحة لايمانه بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالأمل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وأيضا كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة الى قيام ثورة .

وغير بائع الخروب . . مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة . . بثورة القوات المسلحة من أجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الأساسية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الأولى : السيطرة على القوات المسلحة .

والثانية : السيطرة على البلد . .

والثالثة : طرد الملك .

وفى الاسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة . . وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب . . كانوا لا يتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا . . لقد ظنوا أن المسألة لا تعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط إجابتها ، ثم ينتهى الاشكال ! . .

فى أقل من ٢٤ ساعة . .

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الأساسية، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية .
لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة

على الجيش قد أصبحت مطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم .. كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة .. أى سيطرة قيادة الثورة على البلد .. يبدو من فرحة الناس بما حدث .. وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق !

تمت - اذن - مرحلتان من الخطة الاساسية فى أقل من ٢٤ ساعة .. لقد كانت - فعلا - معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا ! .. ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة .. طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ...

طرد الملك فاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الاخرى فى ساعات ، وكانت
الخطة الأساسية لقيادة الضباط الاحرار تتضمن ثلاث مراحل ..
وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات..
وسيطر الضباط الاحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣
يوليو ١٩٥٢ .

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه ،
فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ، وهى كانت فرصة العمر
كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط
الاحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا
لتوجيهات قيادتها الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم
تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاجداث شغب يعطل تنفيذ
المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من أنه فوجئ
بما حدث فى ذلك اليوم ، وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى
القوى لسيطرة قيادة الضباط الاحرار على البلد . وكان معنى
وقوف الشعب وراء أحداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب يريد ثورة
... يريد الخلاص !..

وكل شيء كان هادئا في البلاد .. لا دم ولا بارود .. لا قتلى
لا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام
الناس ! ..

انها كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العالم التي
تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالالوف وبالملايين الا ثورة
مصر ! ..

كل ثورة كانت لا يمكن أن تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقة
بأخرى فتمضى في طريقها فوق الاشلاء والدم والانقاض .. الا
ثورة مصر .

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث
تكون الا ثورة مصر ! ..

ان كل شيء كان هادئا في مصر يوم الثورة ..

لم يكن في مصر غير الفرحة والآمال التي سطعت في الصدور
لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من
هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم في طريقها بنجاح وسرعة مذهلة ،
لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة المصرية
ليس لها أعداء ؟ ! ..

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا ، فلم توجد الثورة التي لا أعداء
لها ..

فكيف اذن لم تحدث مجزرة ؟ ..

كيف لم تغرق الدماء الشوارع ؟ وكيف لم يقتل مواطن واحد
من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر ؟ ! ..

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى ..
كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ
ثلاثة آلاف سنة ! ..

فما هو السر ؟ .. لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها التى
تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟

لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل السلمى العجيب ؟

اننى هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو أن أعداء
الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة ،
ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء بعد أن أصبحت
لتلك القوات قيادة جديدة ..

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة
هناك يمكنها أن تحميهم .. لم يعد معهم جيش ولا شعب !

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم، وهكذا مضت فى طريقها
بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة
واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد
الملك ...

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان
الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك
اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب
قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها
له ، وأخبره أن الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب

منه أن يحضر فوراً الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به ..

وفي اللحظة الاولى التي وطئت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريحها أمامه .. كان قد أصبح زعيماً ، وهو الذي كان لا يعلم ..

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لأن المراهي طلب منه تهدئة - الاولاد - الذين عملوا « دوشة » عند كوبري القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك ، حتى نطمئن الى أنه ليس هناك تدخل أجنبي يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن فننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، أو بعبارة أدق حول الرجل الذي نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لايزال في منزله .. لم يحضر إلينا بعد . فهو قد حضر كما قلت في الساعة الخامسة صباحاً ..

واستعرضنا أسماء رجال السياسة الذين يمكن ان نفرضهم على الملك رغماً عنه !

ولم تكن نريد على الاطلاق واحداً من رجال الاحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لأننا اردنا الا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصالح الشعب ... فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات ! ..

ورأينا أن علي ماهر هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب
من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد
٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاى على الملك ..
على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان
موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر
يمكن بعد ذلك أن نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا - كما تقضى
المناورة - فاذا رفض طلباتنا كان ذلك ايدانا ببدء المعركة معه !
وبعد أن انتهينا من هذه المسألة فتح باب الحجرة ودخل
اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصل نجيب
للهملى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب
وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهملى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهملى فى اقناعنا بشئ ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ثم تتم
المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن أعرف عنوان منزل على ماهر ولا أحد فى الحجرة كان
يعرف العنوان أيضا .. وكان الصحفيون يقدون منذ الصباح المبكر
على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان
منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسأله
على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى
المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت - الآن - الاستاذ ادجار جلاد فهل يأتى به ليحضر المقابلة فقلت له :

- لا . مايجيش . عايزين نقعد وحدنا . .

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى : . . قلت له انى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة .

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة . . وانتظرت رد على ماهر . . ولكنى شعرت أنه يريد أن يسمع كلاما أكثر ، وفى هذه اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

- الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبتة مبتسما لأطمئنه :

- نعم ، والقوات المسلحة كلها لا تخضع الا لقيادتنا اليوم . . .

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة . . تكلمت عن الفساد وعن الاوضاع الغربية التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة . . (وهنا شعرت بقدوم احسان عبد القدوس تدوس على قدمي . . وبدأ احسان يزغدننى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة) .

لكنى لم أتوقف . ومضيت أتكلم بصراحة أكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة . . ثم عدت أقول لعلى ماهر ان القيادة تكلفه بتأليف الوزارة . .

وقال على ماهر :

– أنا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفني الملك بتأليف الوزارة !

وقلت له :

– تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن ..

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف :

– فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا .. -

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

– الزيارة دي ستبلغ للملك .. واظن من الاحسن أبلغها أنا دلوقت لادجار جلاد وهو موجود عندي !

وقلت له :

– تقدر تقول اللي تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف . وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولا بد انه بلغ رأينا للملك ..

.. ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة .

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل ما دار بينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا أن مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة .

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب
وزيرا للحربية .

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب
وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا في
سجل التشریفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجيء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمّله اياه
قاروق .. وقلنا له انه لابد أن يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات
أو أخذ ورد .

ثم قلنا له ونحن نشيعة الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات،
أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته .

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لا يتضمن
سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى أن الحركة مقصورة
على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لا بد لنا أن نأخذ حذرنا ..
ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو .

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية ،
وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة .

وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد أننا لم نحتمل وجود
عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردهناه منها .. بدلا من توديعه كما
فعلنا معه فى المرة الاولى .

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح .

وقد اتصل بنا على ماهر بعد خروج مصطفى صادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ١٩٥٠

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه - أى على ماهر - يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه .

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى أننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والاذناب .. كانوا يعتقدون أنها أزمة لا تلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعد أن تحل الازمة باجابتنا الى طلباتنا ..

قد حددنا لعل ماهر الساعة الخامسة والنصف من مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش .. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفي الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد الناصر
ومحمد نجيب وأنا ، وتوجهنا الى منزل علي ماهر واكمالا للمناورة
سلمنا علي ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش ..

اننى اذكر أننا وقعنا في ورطة عندما قال لنا علي ماهر قبل أن
نقابله ان الملك في انتظار طلباتنا .. فلم تكن في رءوسنا طلبات
معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة
تغيير نظام الحكم ... أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك
شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ..

ان الاحوال فى يوم ٢٣ يوليو كانت تترى بسرعة فائقة ..
لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة .. للسرعة الفائقة ..

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق ..
كان لا بد أن نمضى فى مناورتنا مع الملك الى نهاية الشوط قبل أن
ننقض عليه لنسقطه عن عرشه ..

واتفقنا - بعد جهد - على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها
على ماهر الى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف
أن الملك سيرفض هذا الطلب، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله،
فتبدأ بعد ذلك عملية طرده ..

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان
أساسها كما قلت طرد الحاشية ..

وبعد أن قابلنا علي ماهر فى الساعة الخامسة سلمه جمال
عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد علي ماهر للسفر على الفور ،
فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال
ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى
الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا ..
خرجنا ليبدأ جمال عبد الناصر وذكريا محيي الدين فى وضع
تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على
الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا - فى المناورة - مع الملك شوطا بعيدا .. سافر على
ماهر الى الاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة ، وبعد أن
أكد جمال أن المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات
كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه
وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية .

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو)
الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا
كنا لانشك فيه ، ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا
عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى
أرسلناها لفاروق .

وصحيح انه لم يكن بيننا احد قد اكتشف حقيقته بعد ، فهو
يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه
بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الاحداث التاريخية .. كنا قد
قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه .

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه

القادمة ضد جميع اعدائه .. اما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا
فى ثورة نجيب .. !

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لانزال
على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح ، والعرق يفرق ثيابنا
فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارهاق على الاطلاق . كنا
نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ،
وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من
أجل مصائر الملايين .

لم نكن نعرف - بالتحديد - ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم
الثانى للثورة ، لأن الأحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم
نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها .

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى
البلد .

وبعد ذلك لتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على
ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر
.. حتى لو ظهرت فى الافق بوادر تدخل جهات أجنبية فقد كان كل
واحد منا قد اعد نفسه قبل ان يغادر بيته واولاده لمعركة سيخوضها
.. وربما مات وربما فقد ذراعا .. المهم اننا جميعا كنا على استعداد
للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء
لو فكروا فى الوقوف امام الثورة .

جمال يامر بتحريك القوات

ووصل على ماهر الى الاسكندرية وقابل صاحب الجلالة على
الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم التالى للثورة - يوم الخميس
٢٤ يوليو - اتصل على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة
قد وافق على جميع طلباتنا !

• وطلب على ماهر ان نوفد اليه احد اعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لأقوم بهذه المهمة •

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد • كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو ان الازمة انتهت بعد ان قبل الملك طلباتنا •• والمياه ستعود الى مجاريها قطعا ، وخاصة وان الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له •• وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلي ماهر انهم - أى أفراد الحاشية - كاهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى ؟!

على ماهر - اذن - ظن أن الازمة انتهت بعد أن تحدث اليينا بالتليفون ، وابلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا •

- ولم يكن يعرف - مثلا - انه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم السابق •• أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضع جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعه زكريا محيى الدين - وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات - وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك •• !

• درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات •

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتأمين مرافقها •

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو) •

وأصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر •• وكانت القوة التى أمر جمال بتحريكها لاسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاه وآلأى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاسكندرية

ضمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الحطة ٠٠ طرد الملك ٠

على ماهر يسأل ٠٠ ما الداعى لهذا ؟!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، إلا انه كان لا يشترك مع احد فى اعداد أى شىء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى إلينا وقبل ان يعرف انه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الاحداث !
وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو ٠٠ أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!

وقد فوجئ على ماهر والملك بهذا الذى حدث ٠٠٠ فوجئوا بالطابور المسلح يدخل الاسكندرية ٠ وكانا قد اعتقدا ان المياه ستعود الى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات !!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والتهتاف الذى شق عنان السماء ٠

وكما حدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حدث فى الاسكندرية ٠

التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد ان غمرته الفرحة ٠

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر اماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة أخرى بالتليفون ليسألنا :

– ما هو الغرض من وصول تلك القوات .. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم ؟!

واردف على ماهر يقول فى التليفون :

– ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ما تريدون ؟!

وقلنا لعل ماهر :

– لا شيء .. لا شيء بالمرّة .. طمئن مولانا وقل له ان هذه القوات ارسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !! ..

نجيب يطلب السفر معى ...

وبقى التنفيذ ..

متى تبدأ العملية ؟ !

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لأفرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شيء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ..

وكان جمال قد كلفنى – كما قلت – بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب ان يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أوجل سفرى الى صباح الجمعة – ٢٥ يوليو – حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها .

وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو .

وفى صباح الجمعة - ٢٥ يوليو - طلب محمد نجيب أن يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على أننى انا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط الا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور، الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ..

وكان على أن أغادر القيادة الى المطار .. وقبل ان اغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام .. وكانت فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :
- شوف يا أنور .. لازم نخلص من فاروق النهاردة أو بكره بالكثير .. لائن الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمنى ، وعرفت انه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم - الجمعة - أو غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لا يقرر أمرا الا اذا عرف ان لا مناص منه حتى لاتحدث كارثة !

اليوم أو غدا .. لابد أن يطرد فاروق .. فقد كانت المشاكل

قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين .. والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق ان يظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد مهنا !

زوبعة على أبواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه .. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلي عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها .. بعد أن عرف أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الأولى ، وبعد أن وصلت إلى العريش إشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الأحرار نجحوا تماما وأنه سوف لا يكون له مكان على الإطلاق بينهم ، وخاصة وأن جمال سالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش .. أقول بعد أن عرف رشاد أن الثورة نجحت بدونه ، جاء إلى القاهرة بلا إذن وتوجه من فوره إلى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لا يعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة كانوا لا يعلمون أنه رفض التعاون ورفض أن يشترك فى العملية .. وظن ضباط السلاح أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة .. وربما ظنوا أنه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الأعناق .. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا إلى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيادة .. وأمامه
راكبو الموتوسيكلات .. وكانت مفاجأة .. شعرنا على الفور ان
زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية ان هذا الرجل ليس
واحدا منكم .. لم يشترك معكم فى عمل .. انه رفض أن
يعاونكم ..

كان الموقف - اذن - حرجا للغاية ولا يحتمل أية خلافات ..
فالملك لا يزال فى البلاد ..

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين
الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لأن الموقف كما قلت
كان لا يحتمل أية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك أن تقع ..

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة
وجود رشاد مهنا .

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد ،
وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاول وفى يومها الثانى الى أن
يجيئوا الينا ليقولوا :

- فاروق اتصل بفايد .. انجليز فى طريقهم الى القاهرة ..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفرع مما سوف
يقع ..

وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفرعهم المعارك ... كنا

نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قد قررنا أن
نعد أنفسنا لكل الاحتمالات .. وأسوئها .

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ،
٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى
يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القاهرة ... اذا فكروا فى
التدخل ..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيادة
ساعة بساعة ..

تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود فاروق يوما أو يومين
آخرين سيضاعفها .

يا باشا .. قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع .. فبعد أن كلمنى جمال قبل مغادرتى
القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى
المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية .. الى الاسكندرية ،
وفى مطار النزهة وجدنا مندوب على ماهر فى انتظارنا .

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيادة فى مصطفى
باشا ، وتوجهت أنا مع مندوب على ماهر الى رئاسة مجلس الوزراء
فى بولكلى ..

وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر .. سألنى عن القوات
التي وصلت الاسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه
ومضى يقول لى :

— الملك وافق على الطلبات كلها .. واستقالات افراد الحاشية
فى جيبى أهه .

وأخرجها من جيبه ليريني اياها ، وتظاهرت بالاهتمام .
فتناولت منه الاستقالات لأقرأها ، ولفت نظري توقيع الياس
اندرائوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : « الياس
اندرائوس » ، وبخط رديء للغاية ..

وهزئت رأسي في دهشة .. ان الياس اندراوس كان احد
الذين يحكموننا .. نحن الشعب .. كان محسوباً علينا كمصري ،
ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لا يعرف كيف يكتب اسمه ..
لا يعرف لغة البلاد التي ينتمي اليها .

وتنبهت على صوت علي ماهر مرة اخرى وكان لا يزال حائراً ..
وسألني مرة ثالثة عن حكاية القوات التي جاءت إلى الاسكندرية .

وفي هذه المرة اعتدلت في مقعدي وبدأت أتحدث اليه في
الموضوع لأول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولاً للغاية :

– بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم » .

لا خيار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق علي ماهر من ذهوله اردفت قائلاً له :

– اللواء نجيب سيجيء اليك في الساعة السابعة وهو يحمل
انذاراً موجهاً الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة
البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج في حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعل ماهر :

– انصحك – وانت الذي ستتوجه بهذا الانذار – أن تؤكد
للملك ان لا فائدة من المقاومة اطلاقاً ، لان الجيش والشعب
سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والأوامر التي صدرت قاطعة في
هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال فى ذهوله الشديد .. فاقتربت منه
قائلا :

- انت لا خيار لك فى هذا .. بل اننى اعتقد انك مسئول
عما أصاب البلاد الى حد ما لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى
دقائق عام ١٩٣٦ .

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

- أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد .. لكننى لم أكن أتصور
أبدا أن يصل على يد مربيه احمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم ..
انه هو الذى كتب بيديه افعاله ومصيره .

ومضى على ماهر يقول لى :

لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن « فاروق » أبعدنى منذ
احدى عشرة سنة بتأثير من مربيه احمد حسنين والhashية .

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من ان ما
قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانية
ان لا خيار له فى الأمر .. فالشعب مع الجيش سيسحقان أية
مقاومة .. وعدت من بولكللى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب
هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين - مدير العمليات -
وجمال سالم وحسين الشافعى .

وأخبرتهم ان على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الساعة
السابعة من هذا المساء .

زكريا محيى الدين يفاجئنا .. !

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من
الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبت فوقها دبائيس
عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم

يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة .. لا يتحدث إلينا ولا يلتفت إلى أحد .. كان منهما فى « البهلة » فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعل ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه إلى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنا إلى زكريا محيى الدين فى الركن الذى انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة ، لكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

– العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

– لماذا ؟! ..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران .

رصاصه رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها .. فزكريا محيى الدين أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من خوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ .

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم

القيادة الى الملك ، اتجهنا الى زكريا نسأله متى تكون قواته جاهزة ؟ ..

وبهدوء تام اجاب :

- العملية لا يمكن أن تتم الليلة ! ..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيي الدين لنا في ذلك اليوم ..
٢٥ يوليو .

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد فاروق وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن أن تبدأ المعركة على الفور ! ..

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لا يصح ان نسلم بها ، لاننا جميعا لم ننل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على أقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها ! ..

وبهدوء أيضا أجاب زكريا :

- ماليش دعوة بيكم .. لكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شئ سيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا .

ولم يفلح أحد منا فى اقناع زكريا ، لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو)

وسلمنا الامر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولكلى لكى أخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى .

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعل ماهر لكى نقابله فيه
ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة
بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد .

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة .

ان جمال سالم يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه
يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى
جرائم يستحق من أجلها الاعدام .

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأى
فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن
نريد التخلص منه فى أقرب وقت ، اليوم أو غدا ، ويكفى أن يخرج
من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى أن نبقية فى البلاد الى أن
يعدم ، فالأحداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا تلك
الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض
موضوع - مصير فاروق - على الزملاء بقية أعضاء القيادة فى
القاهرة .

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنها أن تجرى عملية
اقتراع حول المسألة .. وسواء صوت اعضاؤها ضد اقتراح جمال
سالم أو أيده فالمسألة حينئذ تصبح أمرا واقعا ..

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى
القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد اليها فى
الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى لبقية الزملاء .

وكانت الاصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى :
تسعة أصوات فقط . . وهم أعضاء الهيئة التأسيسية واللواء محمد
نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية
الاقتراع .

وقد رجح الزملاء كفة رأى القائل باخراج فاروق من البلاد
دون محاكمة . . لان المسألة : كما قلت - كانت تحتّم الخلاص منه
فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت !
وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال
عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم - ٢٦ يوليو -
واخذ رأيه فى الموضوع .

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح - ٢٦ يوليو - كان زكريا
محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى
الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم أصدر اليهم الاوامر النهائية .
وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل
الثامنة صباحا .

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة
مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك
. . وقبل ان نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة
الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الامريكى فى حالة يرثى لها
. . كان يرتعش ، وكان قد فقد السيطرة على أعصابه تماما . .
وقال موجها حديثه الينا :

- أنا قادم الآن من رأس التين ، ان هناك معركة . . واردف
المستشار الامريكى قائلا وهو يرتعش :

– ما سبب هذا ؟ .. ان الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش ، واريـد تفسيراً لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين ، ويهمنى أن أطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية .

وصمت المستشار الأمريكى ثم نظر إلينا فى حيرة .
وقال له اللواء نجيب :

– اننا قادمون الآن للتعاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع وتركنا مستشار السفارة الأمريكية لندخل مكتب على ماهر .

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد أن صافحنا رئيس الوزراء مددت يدي فى جيبي وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتي وقدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعلـى ماهر .. وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احدهما بتسلم الصورة الاصلية .

ورأيت على ماهر يلتفت الى وفى عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدا يقرأ الانذار ، وفهمت فى الحال انه يريد أن يعرف ان كان هذا هو « الانذار » الذى حدد مصير فاروق ؟!

ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسألة طرد فاروق ، وخاصة بعد أن تأجل ميعاد مقابلتنا له من الساعة مساء الى اليوم التالى !

وقد أومأت برأسي لعلـى ماهر وكأني أقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه !

وبدأ على ماهر يقرأ الانذار ، ثم التفت إلينا قائلاً بعد ان انتهى من قراءته :

– هذا هو ما يستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع أبدا الى نصحي .

وغادرنا مكتب على ماهر . . وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار .

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، قبل أن نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى رأس التين .

وقبل ان يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى رأس التين قلت له وانا أهمس فى أذنه :

– ان كنت ترى انك فى حاجة الى حضورى معك فأنا مستعد

ولكنه قال : « لا داعى لذلك فى هذه الخطوة »

ومضت به السيارة الى الملك . . ليسلمه انذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم . والا ! . . .

المدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد أقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة .

وحول سراى رأس التين حيث كان الملك هناك كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحكم فى سراى رأس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الامر ذلك . .

المركة التي حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تتقدم لحصار السراى ، غير أن الاوامر التي صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بأمر من القيادة .

وأثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاسوار حدث أن صعدت قوات الحرس الى الابراج فوق تلك الاسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع « الماكينة » لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها . . . فهم كانوا لا يعلمون شيئا .

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » . . ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب . . وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاسوار وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع الماكينة على اخوانهم هؤلاء . . . وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا .

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة - طائشة - من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج . . ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من اسسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا أحد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت

منه الرصاصه ، وفعلًا سكت المدفع بعد أن أصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التي حول الأسوار .

تلك كانت المعركة التي أفزعت مستشار السفارة الأمريكية ولم تفزعه هو وحده بل جعلت فاروق يفقد أعصابه ويتهأوى كالحطام .

فاروق يستنجد بالسفير الأمريكي !

ويقول علي ماهر إن تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والخاصية فما كادت الطلقات تتابع حول السراي حتى اعتقد فاروق أنه ميت لا محالة . . ولم يتمالك نفسه فأصيب بحالة - هستيريا - واسرع يطلب علي ماهر في فندق سان ستفانو . . فلما وجدته لم يستيقظ بعد ، ظل يصرخ في التليفون طالبا من إدارة الفندق إيقاظه في الحال . . . وفعلًا استيقظ علي ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره .

وفي نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الأمريكي ، وارسل له السفير سكرتيه الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة .

كانت معركة فاصلة ما في ذلك شك بالرغم من بساطتها وهي أن دلت نتائجها على شيء فأنما تدل على أنه لا توجد قوة . . مهما كانت يمكنها الصمود أمام تكتل الجيش والشعب .

فما كادت تلك المعركة تنتهي بهذا الوضع الذي ذكرته حتى خرج من السراي اللواء عبد الله النجومي ومعه أربعة ضباط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة أنهم يريدون الذهاب إلى القيادة في مصطفى باشا للتفاهم . . وجاءوا إلى القيادة فعلا . . وكانوا في

حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك . . لتستريح أعصابهم . .
فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الأفق !

فاروق طلب استثمار ثرواته

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار
وطلب منا على ماهر أن نوافيه فى بولكى - لنشترك معه فى وضع
صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وأيضا لكى يعرض علينا
طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره .

وتوجهنا الى بولكى مرة أخرى ، محمد نجيب وجمال سالم
وأنا . . ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم أرسل
يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الاثناء عرض
علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

• أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال
علوبة .

♦ أن يجرّد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى
تلك السرايات الى ثروته وأن تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته
وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم .

♦ أن يسمح له باصطحاب بوللى وحلمى حسين، وان لم يكن
هذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه .

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب
الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة .

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل ما يطلب
منه بلا تردد ، بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو أن يخرج حيا من
هذه البلاد .

كان قد اقتنع أنه لا توجد قوة - مهما كانت - يمكنها أن
تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا
مقاومة .

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صيغة التنازل - الأولى -
وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن جمال سالم اعترض بشدة ..
فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى حتم على فاروق أن
يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيها نزولا على رغبة الشعب .

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتي وقع عليها الملك
نزولا على رغبة الشعب .

وأخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى رأس التين ليوقع
الملك المخلوع عليها .

وخرجت أنا لأتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى أتفق
هناك على خروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ،
وأیضا لكى أخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى كان ممنوعا
من مغادرة مكتبه .

وفى طريقى رأيت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى
كان يرأس قوة حصار رأس التين ، وكان الضابط قد منعه من
دخول السراى ، وطلبت من الضابط أن يتركه وأن يرافقه الى الباب
الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب .

وتوجهت أنا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت
بما لم يكن فى الحسبان !!

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد أن فتحوا له باب سراى رأس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد .

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لأعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروقا الى منفاه ، وأيضا لى اخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى أراد فاروق أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها .

وكان أمير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت .

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت - كما سبق أن قلت - بما لم يكن فى الحساب !

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى ... وما ان سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نفس المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الاسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء - الآن - وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى

المصري ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه في تكوين تشكيلات في جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية .

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة بأسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية في اجازة ، وهي لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكي يتصل بضباط البحرية ، ولكي يخلق صلة بين بعضهم وباقي القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة .

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير . . . فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم في جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا في الطيران أو في باقي الوحدات ، لاننا - جميعا - كنا زملاء في كلية واحدة . . هي الكلية الحربية .

وأما بالنسبة الى ضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد ان انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم تكن نعرف احدا من هؤلاء الضباط المعرفة التي جعلنا نفاتحهم في مثل هذه الامور !

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الاساس في قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين أعضاء التنظيم . . . وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هي الدافع القوي والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد . . . ثم تحديد أهداف واحدة .

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى . وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما .

ومن أجل هذا كنا نحن - الاصدقاء - نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن أجل هذا أيضا ظل الضباط الاحرار يعدون خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل في الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها . . وبينما هو في محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة . . . لانه - كما قلت من قبل - قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !

وترك جمال الاسكندرية قبل ان يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية !

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع في رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتي كبيرة عندما قالوا لي ان مراكب الاسطول الراسية في الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهي تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد من ان ينفذ وعد القيادة ، لا بد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها .

واستقر رأينا - كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع - ان نوزع أنفسنا على مراكب الاسطول . . أنا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب

اسطولنا في الميناء ، على أن يكون كل واحد منا مسئولاً عن منع
ضباط البحرية من نسف المحروسة !

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراحية
في الميناء .. وبينما كنت متأهباً للنزول الى اللنشة اذ دق جرس
التليفون في غرفة قائد البحرية ، وقالوا لي ان القيادة تطلبني .

كان زكريا محيي الدين - مدير العمليات - هو الذي يتكلم ..
قال لي انه نمي الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب
المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ،
وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !

وطلب مني زكريا محيي الدين أن اتصل بهم وأعمل الترتيب
اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !

وكانت مفاجأة ثانية في ذلك اليوم !

فضباط الاسطول قد استطعنا ان نجد طريقة لمنعهم من
نسف المحروسة .. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من
اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟ !

ولم اجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار
في مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ، ثم طلبت منه
أن يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكي يشرح
للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم : ان القيادة ارتبطت
بكلمتها .. ولا بد أن يخرج الملك المخلوع سليماً من البلاد .

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار
أن اتصل بي ليخبرني أن كل شيء على مايرام .. فقد استطاع
اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما أخبرته بأمر القيادة أثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لانه خاف ألا يسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهناك اقنعناه بأن عقليتنا لا يمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لا يمكن أن نمنعه من العودة الى بلده !

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو اكبر قطعة من اسطولنا !

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !

ووقفت على ظهر الطراد ، وبدأت انظر الى رأس التين بالمنظار البحرى الكبير .

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا ازال اتجه ببصرى نحو رأس التين .. وكنت أرى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجيء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل .

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار الكبير فرأيت علم فاروق فوق السارية امام رأس التين وقد أنزل ... ثم رأيتهم ... رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم اميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الأمريكى وشقيقته فوزية .

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت في مكاني فوق الطراد « فاروق » احملق في المنظار
المكبر واشهد امامي نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يستقل اللش الى المحروسة،
وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللش ..
وخيل الى انه يريد ان يبدو شجاعا في لحظاته الاخيرة ، وهو يغادر
أرض الثورة .

وكانت اللنشات تروح وتجيء في الميناء منذ الصباح حتى
ساعة الرحيل ، وتقرب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور
حول المحروسة .. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الاخير
من رواية « فاروق الاول » .. بعد ان شهدوا كل فصول الرواية
وضاقوا بها .

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل
الساعة السادسة .

وقبل ان يمر اللش الذي يحمل الملك المخلوع امام الطراد
الذي كنت فوقه سمعت طلقات رصاص .. وبطلقت في المنظار
وقد انتابني شعور بالفزع .. خيل الى ان احدا أطلق الرصاص
على فاروق .. وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها .

ثم عرفت - في الحال - ان احد اللنشات اقترب من
« لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا
صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر .. وما كاد فاروق يراهم وهم
يقتربون حتى « تهيج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة ،
فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا في « لنش » يسير

بهم محاذيا للنش فاروق الا أن اطلقوا النار للارهاب .. وانطلق
لنش الصحفيين بعيدا .

ووصل فاروق الى المحروسة ، ورايته يصعد درجات
السلم ثم يقف بعد ذلك في المشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر
وصول أحد .

وبعد فترة قصيرة جدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال
سالم وحسين الشافعي .. وكان من المفروض أن يودعوا فاروقا
من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا ..
واقتربت الساعة من السادسة ، فاستقل فاروق للنش على الفور
كما ينص الانذار الذى تلقاه .

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعي الى
المحروسة لتوديعه ، ورايتهم يقفون مع فاروق ، وظللت أبحلق
فيهم بمنظاري لكنى لم اكن اسمع حديثهم ... ثم ما لبثوا ان
غادروا المحروسة .

كان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر
تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها الى المنفى ، وطلبت
من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية .. فبدأت المدافع تنطلق ..
واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات
تنسحب الى الخلف لكى تفادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك
بعيدا عن أرض الثورة .

نمت على باب القيادة

وظللت أتابع « المحروسة » بالمنظار الى أن غابت عن عيني
وهنا تلفت حولى لأجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم
الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط ويعد ان انتهت « العملية »

شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى ... وترنحت وكدت أسقط فوق ظهر الطراد ... فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم استرح .. ولم أطمئن .

وكنيت قبل رحيل المحروسة لا أشعر بتعب ولا بارهاق وفجأة أصبحت لا أستطيع جر قدمى ، حتى عندما أردت مفادرة الطراد لآعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم أستطع النزول من فوق السلم .. فأمسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللش .

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنيت لا أزال أترنح ... ثم دخلت من باب القيادة أجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى .. ولم يكن فيها أحد .. وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الأرض لاستغرق فى نوم لم أذق أعرق منه أبدا .

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى .. ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا وأتوجه الى محل البان كنت أتردد عليه فى وقت ما اثناء هربى من البوليس ... وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيادة ... وعلمت أن جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا أن نعود اليوم الى القاهرة .

وقد توجهت مع اللواء محمد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين أصيبوا فى معركة رأس التين . وصرفنا لهم مكافآت .

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجوى

وكان معينا من قبل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة .

وخيل الى ان النجومى فى ورطة .. وفعلا بدأ يتحدث عن ورطته .. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والفزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام ؟ ..

وطلب النجومى منا أن نحل المشكلتين ، وحلنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد .. فترحل كل واحدة الى بلدها .

اما مشكلة الحيوانات والفزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى انها - أى الحيوانات - يمكن أن تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى أن تتسلمها الحكومة .

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة .
وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى ..

اول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بفد رحيل فاروق !

وكنا - أو كنت أنا بالذات - لا أتوقع تلك المفاجأة إطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟ .. وما الذى جاء به ايضا في الاسكندرية ؟

لا احد كان يدري .. فذلك الرجل لم يفهمه احد تماما ، ولم يعرف أصدقاؤه ، أو أعداؤه ، أهدافه الحقيقية ..

هل يريد أن يشير زوبعة هنا .. مثل تلك التى أثارها في مبنى القيادة بكوبرى القبة .. ! ؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لا يعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك في العملية عندما بدأت ، بل بعد ان نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجيء باننا نجحنا نهائيا واصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لا يكاد يصدق ان الثورة نجحت بدونه ! ويومها - كما قلت - ظنه ضباط المدفعية احد اقرب الثوري فاحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به في موكب هائل الى القيادة في كوبرى القبة ، ولم نستطع ان نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد منها . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من الثوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتل ، فقد كان من الحماسة اثارة خلافات في يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبهلق في وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا في الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف في الحجرة تأثها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته في ذلك اليوم ان المتاعب في طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعري ، كان لابد ان أحدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطلاقا اهدافه او معتقداته ، ولا يستطيع انسان ان يعتمد عليه

وزاد في احساسى بالرغبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه
كانت عيناه تتدحرجان في جميع الاتجاهات وهو يتحدث
الينا ...

لقد علم ان العرش قد سقط ، ولم يشترك هو في عملية
اسقاطه . وعرف انه قد اصبغ في مصر مئات الابطال وقادة فتح
لهم التاريخ كل ابوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف
تلك الابواب

وها هو الآن امامى في تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ،
انى اراه جيدا في تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ،
وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !
وظللت أتأمل في رشاد مهنا وهو فى جلسته المضطربة أمامى
في مصطفى باشا ..

وكما قلت لم اتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم اخذته من
ذراعه الى ركن في الحجرة .. وسألته :

— ايه يا رشاد ... مالك ! ؟

ونظر الى في اضطراب أكثر .. فسألته في هذه المرة بلهجة
جافة الى حد ما .. قلت له :

— عايز ايه يا رشاد ... قول ، ايه اللي انت عايزه ...
مالك كده ... مضطرب ليه !؟

وفوجئت به يبكى ..

ثم قال لى وهو لا يزال يبكى :

— أنا مش عايز حاجة .. أنا جاي أبارك على الخطوات
الموفقة دى ..

رشاد يطلب اخراجي مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا .. وتركناه في الحجرة تائها كما هو ومن حوله أربعة جدران ..

ولم أكن أدري يومها أن حديثي الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنني عدو له حتى كان ذلك اليوم الذي ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد أقيل من منصبه كوصي للعرش وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما .. صداقة كانت أو زمالة أو حتى مجرد تعارف عابر .. أقول أراد جمال أن يمد يده لرجل يعرفه ، لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لا شيء ولا لآته في حاجة اليه ، بل لأنه قد عرفه في فترة ما ..

أراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر في أية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا في تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا .. وانه - أي جمال - في حاجة شديدة الى معونته ، وأن الثورة لم يعد يمكنها السير بدونهم .. فقال لجمال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد .. وهو أن يخرج جمال سالم وأنور السادات من القيادة ..

واضطر جمال عبد الناصر أمام هذه المفاجأة أن يوضح لرشاد مهنا في هدوء المسألة كلها .. فقال له انه لم يأت اليه لآته في حاجة الى التعاون معه ، بل لكي يساعده .

وتكلم جمال معه بصراحة .. فاستعرض امامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد ان قامت ، ثم بعد ان أصبح وزيراً ثم وصياً على العرش .. وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها في هدوء أمام رشاد مهنا .. وهو ان الوضع بالنسبة له اى - رشاد - هو انه خرج على الثورة ، أما بالنسبة للثنتين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماماً ..

ورفض رشاد يعد ان سمع رد جمال عبد الناصر .. اقول رفض الوظيفة .

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق ، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا .

ولترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيراً فى قصة ثورتنا ..

وأعود الى الموضوع ..

كان علينا بعد ان رحل فاروق عن البلاد ان نعود فوراً الى القاهرة ، بعد ان استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو .

وفى اليوم التالى - ٢٧ يوليو - كنا فى القاهرة ، وانعقد فى نفس اليوم اول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيساً للهيئة بالاجماع كما سبق ان قلت ..

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لانه لم يكن عضواً فى الهيئة .

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب فى مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رأنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه .

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الاول للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الاحرار ، ثم توجهت بالنصر ساعة ان طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة .
وانتهى جمال من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة ..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، ولكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى - كالعادة - ففاز جمال بالاجماع .

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقي جمال رئيسا للهيئة ، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة .. وتكلم فشرح موقفه .

قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لانه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يضطرم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به .

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لاي خلاف أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج .

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد ، وكانت

مناقشة عاطفية للغاية ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيي الدين من الهيئة . . أى استمرار التعاون معه .

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا . . فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح ، بعد أن خرجنا من تحت الأرض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الحفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب . . وبلا فاروق . .

والعالم كله كان لا يدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد . . والشعب أيضا . .

لم يكن أحد يعرف ماذا بعد فاروق . .

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى - الطفل - كان على عرش البلاد ؟!

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن ؟!

وهذا الذى حدث قد تم على أيدي من ؟!

عرف الناس - فقط - فى مصر وفى خارج مصر ان اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وانه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لا نريد على الاطلاق أن يعرف أحد في مصر أو في خارج مصر شيئاً عن جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم أو أى واحد منا .. لاننا قررنا أن نفنى جميعاً في شخص اللواء نجيب القائد والزعيم .

وأردنا أن يرسخ في أذهان الشعب وفي أذهان كل العالم ان نجيب هو صانع كل تلك الاحداث في شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس .. ولماذا اتخذتم هذا القرار ؟! مادمتم قد حققتم أخطر مرحلة في كفاحكم ، وطرده صاحب العرش عدو الملايين ، فلماذا لم تخرجوا الى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب ؟!

وأقول لهذا البعض اننا لم نكن نريد حكماً .. لم نكن نريد أن نكون أعضاء في حكومة مصر ، أو سياسة ضمن سياسة البلاد .. بل كانت كل أهدافنا هي تغيير نظام الحكم ولا يعني أن يحملنا الشعب على رأسه أو لا ، بل الذى يعني هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فانها لم تكن من أهدافنا، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لانفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم .. وهو كل شيء !

ونحن - كما سبق أن قلت - لسنا سوى جنود في الثورة نحملها ونمهد أمامها الطريق لكي يصل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكي يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو
عام ١٩٥٢ •

وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر
فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية
كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررّة ولا سبيل الى تغييرها،
بل حول وسائل تحقيقها •• بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب
فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة
ملايين المصريين •• فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو - أى المستعمر - باق لم يطرد مع فاروق •• والمعركة
القادمة ستكون حتما معه •• فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة
والديموقراطية أمام الشعب سواء ويجب أن يزول ! ••

وكان الاستعمار فى تلك الايام التاريخية من شهر يوليو
قد فوجئ باللطة التى أصابته عندما طرد فاروق ••
وانى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر ••
أذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا
بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا •• قبل
أن نعود الى القاهرة •

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا
مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة •• وبدأ
يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو ••

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفه الذكر
ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :

أولا : أن يعلن حظر التجول في أنحاء مصر خوفا على أرواح
الاجانب لانه يخشى - على حد قوله - أن يفقد الشعب السيطرة على
مشاعره من شدة الفرح فيعتدى - أى الشعب على المحلات
والمؤسسات !

ثانيا : ألا تحدث اية ثغرة في نظام الحكم بعد خروج
فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة ..

ثالثا : أن تحفظ حقوق أسرة محمد على ، وبالتالي حماية النظام
الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجئ بجمال سالم وبى
- ونحن نتحداه ونسخر من طلباته !

قلنا له ماذخل بريطانيا فى مثل هذه الامور، وهى أمور داخلية
بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى، وقلنا له انه ليس لبريطانيا
أو غيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لأن هذا الزمن الذى كان
لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة ان
تحركت « المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ
عن الموقف فى مصر بعد فاروق ! ..

وبعد أن ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه
يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه
ابتسامة وديعة :

- أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة
وللنصح لا غير ! ..

وطلب - رسميا - الا نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا ،
وان حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل مافعل
كصديق !

وقاطعناه قائلين :

- ولكنك كنت تقرأ من مذكرة في يدك . . فما هي
الحكاية ؟!

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات . . وقال
وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى
يتذكر ماسوف ينصحنا به كصديق .

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة
انه ماجاء الا كصديق، وان المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا
. . وقال انه يسحب كل ماقاله لنا وطلب منا أن ننسى ماحدث . .
ثم خرج !

تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد
الملك . .

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة - فى ذلك اليوم - قد
سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبة وكانت كلها مواكب
نفاق . . بعد أن عرف الساسة الباشوات ان فاروقا قد رحل عن
البلاد .

الثورة وعما والأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق ؟! هذا هو السؤال ..

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى .
فى اليوم الاول للثورة - ٢٣ يوليو - وبعد ان سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات ؟!
هل فرحوا .. وايدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو ؟!

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد ..
ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك ..! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية ؟!

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية ، كلما أرادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ، مثلما أيد الشعب ذلك الموقف ؟!

أم انهم كانوا لا يمثلون الشعب فموقفهم - اذن - يصبح مختلفا تماما عن موقفه ؟.

لقد كانت أحداث تلك الايام من يوليو تشير بوضوح الى
أن الضربات بدأت توجه لاعداء الشعب . . . لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على أسرة محمد على عملا
ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا . . فلماذا لم يقف زعماء
البلاد الى جوار قيادة الجيش في اللحظات الاولى للمعركة ،
وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟
هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى
هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من
أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب
كان يؤيدنا منذ الدقيقة الاولى . . أقول ماذا كان عليهم - وهم
الزعماء الفيورون على مصالح الشعب - لو وقفوا وأيدوا الخطوة
الاولى ، ولا أقول باقى الخطوات ! ؟

انى أقولها ويقولها التاريخ نفسه ان الزعماء جميعا كانوا
يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم . .

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد
خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

أما نجاح الثورة فذلك شئ لم يتوقعوه . . أما عزل الملك
فذلك شئ لم يؤمنوا بأنه سيحدث !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر
وجها واحدا من وجوههم الكريمة !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب . . . أما هم دعاة
الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشل

الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه ... فلا يحرمون من مقاعد
الحكم ومغانم السلطان

حتى ذلك الرجل حسن الهضبي وأتباعه ورثة كتاب الله
في هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش في أيام الثورة الأولى
.. لم نر وجه الهضبي وهو الداعية الذي يطالب بالحرريات
والديمقراطية !

فأين كان ؟ !

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا فيما بعد أنهم صانعو
الثورة !

ثم فجأة وعندما عرفوا أن الثورة نجحت وأن العرش قد
سقط من فوق رأس مولاهم جادوا الينا مهنئين ... وهم الذين
اختفوا عن أنظارنا قبل رحيل الملك المخلوع ... بل ان رجال
حزب الاغلبية ، الحزب الذي يدعى أصحابه تمثيل الشعب ،
أقول ان هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو - والشعب
والجيش في عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة - وقيدوا
أسماءهم في سجل التشريفات ، في سراى رأس التين ، رافعين
الى الاعتبار السامية فروض الولاء والطاعة ، في الوقت الذي
كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك
الملك !

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجية الوفد لايزال
في دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول !

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء ... كنا نتوقع أن
يجىء إلينا بعضهم ليعلمونا عن تأييدهم لما حدث ... لكن يبدو
أننا كنا نحسن الظن هؤلاء القادة ، فهم الذين صالحو القصر
والمستعمر طوال أعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق
فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة
يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادئ
إلى الجحيم !

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى
مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة .

وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة
بعد أن عرفوا أن فاروقا قد انتهى !

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة
للملك باسم الوفد يوم - ٢٣ يوليو - أى بعد الثورة ، جاء بعد
رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا .

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضل من الاغلبية
والاقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة
ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد !

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب
القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون
إلى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا أننا
مثل سيدهم الذى ذهب !

ظنوا اننا ستدور بنا الرعوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع
مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون !

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم في القيادة لانستطيع اخفاء أسفنا،
كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم أمامنا يتسمون في خضوع
مباركين ومهنيين ومؤيدين !

وكلما جاء إلينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا،
ولانملك الا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة
كانت المسألة رياء في رياء .. وليس لها أصل من الحقيقة !

فجيب يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديهما .. فحديثهم
سيجىء كثيرا في قصتنا .. وأعود الى الموضوع :

قلت فيما سبق ان الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع
لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر
من رئاسة الهيئة في ذلك الاجتماع ، ثم أجريت انتخابات جديدة
ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالى اجتماعات الهيئة
التأسيسية .

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة في الليل وفي النهار ،
فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا
في العلن جنباً الى جنب مع الشعب .

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا
في الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا في مكتبه حتى تنتهى من

أعمالنا ، فيجىء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ، فكان لا يترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا .

كان يقول لنا ان كل شيء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شيء له وحده ، وهو لم يصنع شيئاً على الإطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر في شدة أننا صنعنا شيئاً ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلاً كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد ان عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة - كما قلت من قبل - ان هذا الرجل - أى نجيب - أصبحت أحبه مثل والدى .. وربما أكثر !

جمال يتنازل عن الرياسة لنجيب !

وفي تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب .. ثم عندما يعلم أننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا .

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف أغسطس وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم ١٧ أغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر - رئيس الهيئة - يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رياسة الهيئة للواء محمد نجيب !

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

– ان الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح أن نضمه كعضو فى الهيئة فحسب ، بل انى متنازل له عن الرئاسة ؟

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم أربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على أن يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لايعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة .. وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة !

اقتراح من جمال سالم

وفى الوقت نفسه تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه : انه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على أن يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة او الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب – لأول مرة – الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه أربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، وعبد المنعم أمين ..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة ..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا في الهيئة التأسيسية للضباط
الاحرار ، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات
الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها ..

فكان كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق يجلس في مكتبه
حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها
معه ، لم نشك في ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه
كأب لنا .. فهو كان في كل لحظة يجلس معنا يتحدث في خجل
عن انكارنا لاشخاصنا ، فيقول : ان كل شىء قد تم بمجهودنا نحن
وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب
كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم : انه هو قائد الثورة ، وهو
صانع كل شىء .. !

وهكذا تبادلنا الثقة في أيام ما بعد فاروق .

وكما قلت سابقا فاجأنا جمال عبد الناصر في جلسة
الهيئة التى انعقدت في ١٧ أغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرئاسة
للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : « ان الوضع
أصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره
قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة .. وفي نفس
الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لا يصح ان يدوم » .

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح
جمال ، وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال

رئيساً لها منذ أنشئت ، وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها
بالاجماع ليرأسها .

ودخل أربعة آخرون مع نجيب أعضاء في الهيئة هم :
زكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، ويوسف صديق ،
وعبد المنعم أمين .

ومضينا كما قلت ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب
رئيساً للهيئة وجمال وكيلا لها .

وقبل أن امضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أود
أن اذيع على الراى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى
الكتمان منذ قامت الثورة .

وهى سر اختيار رشاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت
فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولاً بأول من الثورة .

وكان آخر موقف له سرده هنا هو قصة مجيئه الينا فى
الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما
دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يوماً عن سر اضطرابه
وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموقفة
للتورة ! ..

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧
يوليو - ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر
حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات ، وبطريقة
تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه .

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون
حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه

رفض الاشتراك في العملية ورفض أن يتعاون على الإطلاق واعتقدوا
عندما جاء من العريش بدون إذن ، أقول اعتقدوا أن رشاد مهنا
هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها !..

والموقف لم يكن يحتمل تفسيراً .. فريما حدثت بابلية
ونبتت خلافات والثورة في أيامها الأولى .

فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا أيضاً ..

وعلى هذا ظل الاعتقاد - بأن رشاد مهنا قطب من أقطاب
الثورة - سائداً بين ضباط المدفعية وغيرهم .

وأمام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا
يريد شيئاً ما ..

وعرف جمال الشيء الذي يريده رشاد .

وأراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات أو
انقسامات نتيجة للفهم الخاطئ لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال
حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء
على الإطلاق سوى عشقه للمظاهر .

ودون أن نعلم ، توجه جمال عبد الناصر الى على ماهر وكان
رئيساً للوزارة في ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد أن يكون
هناك من يمثلها في مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن
يكون رشاد مهنا هو الذي يمثلنا في مجلس الوصاية .

وتبين بعد مراجعة الدستور انه لكي يعين أحد وصياً لابد
أن يكون وزيراً سابقاً على الأقل .

وزالت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش .

وبعد أن أنهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة وأخبرنا بما تم . وبالرغم من أنها كانت مفاجأة لنا ، إلا أننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا . . ولمشاكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها. وعندما وقعت المأساة وأصبح رشاد وصيا على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الاقطاب . . فى الثورة ، تماما كما كان شائعا عن اللواء نجيب . .

والواقع أن رشاد مهنا كان يتصرف عندما أصبح وصيا للعرش باعتباره ملك البلاد . . وسأروى فى حلقة أخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين !

انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر . . ونسى الثورة كالعادة .

ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها رداً على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا . .

قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :

— انى أملك وأحكم أيضا .

نصحونا بأن نحكم . .

وأعود الى قصتنا . .

قلت اننا بدأنا نستعد بعد دخول نجيب الهيئة التأسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق . .

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت .

وأذكر انه بعد ٢٦ يوليو أى بعد خروج فاروق جاء اليينا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم .

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا ..

اعتقدوا أننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم : لا .. لا ..

وكررناها فى حزم وقوة .

وأعود الى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل .

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة .

لقد فكرنا فى تلك الفترة أن نطلق شرارة الثورة الاولى بأن نغرض حزب الأغلبية وقتذاك - الوفد - على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » وأوفدنا اليه البكباشى أحمد أنور أحد الضباط الاحرار - وقائد البوليس الحربى - وذهب أحمد أنور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ما اذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السؤال ..
حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة رأى أنه من المحال أن ينجح الجيش في هذه العملية ..

عاد أحمد أنور الينا وهو يحمل رد الوفد .. ان حـزب الأغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شيء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين – للوفد – فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب « أى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الأحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد .

أما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شيء لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة .

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء ، بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم اذا أرادوا – أى الاعداء – تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء .

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل .. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا

.. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع
ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد
أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد !..!

الوفد يتجه الى مصدر القوة

واستعرضنا يومها مواقف الوفد - أو بعبارة أكثر صدقا
- مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى
حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة
القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا أن نعرف أعداء
هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد - وهو حزب الاغلبية - هو
الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان
فى يد كليرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل
مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية - وكان
ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت - اتجه الوفد الى القصر
وهادنه .. تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى أحضانها !

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا المعيان
بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية
ساحقة ، وأصبح على الملك أن يدعو الحزب الفائز ليتولى
الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو
بالحق فهو - أى الوفد - قد فاز على أى حال وتربع أقطابه على
مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها .. فى انتظار
الفرج !

أصبح الوفد - اذن - فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات .. فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات ! انتابه الفرع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب .. ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

- تعالى حوش عنى الوفد !

وكان مفروضا أن يخوض الوفد - باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون - المعركة فى الحال ضد استبداد القصر .. فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قاداته .. فهم أصبحوا حكاما !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات .. وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين .. كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم أنف الملك وأصبح حاكما رغم أنفه أيضا .. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة أعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى .. وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم .. سمعه يقول له :

- أنا ليه طلب ..

وتوقع فاروق شرا .. ظن أن زعيم الأمة قرر الاشتباك معه في معركة وهو لم يزل في أول الطريق .. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمع النحاس يقول له :

— طلبى .. انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا في قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى أيدها الشعب وجاء بها الى الحكم لتحضى مصالحه وتعمل من أجله .. فزوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من أجل سراج الدين ، وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد انور مندوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا أن نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة .

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك — أى بعد أن رفض فؤاد سراج الدين أن يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار — قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئات والاحزاب فى مصر .. لان العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة .. نحن فى ناحية وهم فى ناحية أخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللى وخدم القصور .

أما المعارك جنباً الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك
شيء يربعهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة
في انتظار العطف السامى .

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من أجل الشعب ، أما
المسألة التى فى برنامجهم فهى كائن كفاها من أجل الحكم .

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا
فى المستقبل .

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على أنفسنا .. على تشكيل
الضباط الاحرار ، فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن
أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح
أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر . فكل
الضباط الاحرار من عائلات متوسطة وليسوا أبناء باشوات
وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع
القصر وكل أعداء الشعب .

رايان يتصارعان

غير أننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد . وفى
كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائماً فى تلك الأيام لم
يقف أحد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وإنما كان هناك
رايان يتصارعان :

الرأى الأول يقول : بما أننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الأولى
للثورة بفرض حزب الأغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا
برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات
وتنفذ أهداف الثورة .

والرأى الثانى يقول : لا يصح أن يحدث هذا .. فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه أنهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب ، ومعناه أيضا أنهم لا يؤمنون بما ينادى به الشعب ، وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع مصالح الشعب فهى - أى تلك القيادات - سوف تكون حربا على أهداف الثورة لو مددنا أيدينا اليها .

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون أهداف الهيئات والأحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب . ثم قالوا : ان الثورة تحتم الغاء كل تلك الأحزاب والهيئات التى تأمرت على الشعب طوال ربع القرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صاحب العرش ، وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرايان المتصارعان هما محور كل المناقشات!

التطهير المزيف للأحزاب

.. كان رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ،
ويقول :

— اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .

وقال لنا الاخوان :

— نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف ... أما غيرنا
فيخدعكم ويفرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة ، هذا هو
الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا .

... وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن أن تمضي في طريقها
بديمقراطية الوفد والاعوان والسعديين ... ديمقراطية النظام
الملكي الاقطاعي القائم في كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية
العبيد .

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق
المقدس في كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق ، تتيقظ
وتعي موقفها تماما ازاء الاحداث التي ستترى بعد ذلك حتى لا
تضل ، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق
أرزاقيهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها
مشعوذ أو أجير لتهتف :

— حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه .

وطالبنا الاحزاب بالتطهير .

ومنهم زرق الانياب وقدامى السياسة والحكم ، انهم يستطيعون
أن يضحكوا علينا .

وعقد الوفد اجتماعا وأصدر قائمة .

وعقد السعديون اجتماعا وأصدروا قائمة .

وعقد كل حزب اجتماعا وأصدر قائمة .

وكانت حكاية التطهير مهزلة .

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان في مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تشور قبل عشرات السنين .

ماذا كانت تريد ؟ . .

لقد وقفت بالتقارىء في آخر حلقة من القصة عند موقف الأحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا أمامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا . . ساهموا معنا في هذا العمل التاريخي الكبير . . تعالوا نصنع - جميعا - مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت .

وترددوا - جميعا - ولم يمد أحدهم الينا يده . . كانوا يعتقدون أن الذي حدث في ٢٣ يوليو ما هو إلا أحد الانقلابات المعروفة العادية ، والتي قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد .

لم يفهموا على الاطلاق أنها ثورة والا فما معنى تردددهم؟!!

قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو . وفي نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون . . رسل الوفد يقفون أمامنا وينبري قطب منهم ويقول :

— اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. انتم
لن تتمكنوا من صنع شيء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن
الوفديين ، فلا بد من حزب سياسى يقف الى جواركم .

ولا ينسى « القطب » ان يستعرض أمامنا قائمة الاحزاب
المصرية الموجودة .

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب
الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لأنه حزب الاغلبية .
ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هم الاخوان ،
وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع
التاريخ والتطور الانسانى .

قال لنا الاخوان : نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف
أما غيرنا فيخدعكم ويفرر بكم .. اجعلونا أوصياء على انثورة ..
هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا .

من يريد أن يثور معنا

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام « الاخوان » انهم
على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم
بأننا نفهم كل ما يدور فى رءوسهم .. الجميع كانوا ينظرون البنا
باعتبارنا صفارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث .. كأنهم كانوا
بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة احداث ما قبل يوليو ..
فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع اننا — فى ذلك الوقت — كنا فى حيرة ، فقد كانت
الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديد تقضى — فعلا — بالتعاون
مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل
والعمل .. وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنا من كل الاحزاب أن تظهر نفسها فوراً
كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم .

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة واساليبكم الماضية ،
وتخلوا عن معتقداتكم التي كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ،
وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل
أو التعاون والاشتراك في « الثورة » بهذه العقلية وبتلك
البرامج والمعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثورة » لا يمكن أن تمضي في طريقها بديمقراطية
الوفد والسعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطية النظام
الملكي الاقطاعي القائم في كنف القوات المحتلة .. أي ديمقراطية
العبيد !

فالبرلمان والدستور وكل الاشكال الوهمية للحرية .. والتي
كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه
من نيل حق واحد من حقوقه التي كانت في قبضة أعضاء البرلمان
والحكام وحماة الدستور .

كان الاقطاعي يمثل تمثيلاً - ديمقراطياً - مصالح الفلاحين
.. عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن للثورة أن
تقضي على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع
الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذي سيقوم عليه النظام
بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولا دستور
ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للامة ، لا شيء من هذا عني
الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تظهر الاحزاب

وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليها وهم الاعداء الحقيقيون للشعب .

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس في مصر بعد سقوط فاروق .

النائب والشعب ..

وقد كنا في ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها من أساليب الكفاح السياسى الوفدى والسعدى والدستورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

— حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه .

كيف يفهم الفلاح

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنباً الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد ؟!

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى « درين » أن الهتاف بحياة عبد العزيز البدرأوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو؟! وهو — أى فلاح درين — لم يهدم الاقطاع بفأسه حتى كان يمكن أن يعنى الثورة؟! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة.

كنا لا نريد أن تسيل الدماء في درين وفي القاهرة وفي كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت إلا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله ، لا من أجل طبقة معينة .

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب في درين وفي القنال وفي أقاصى الصعيد ... لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق ؟

حيرة التاريخ ..

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم ؟! هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة .. فهي حالة شاذة كما قلت في تاريخ الثورات !

وفي حجرتنا القائمة هناك في مبنى القيادة بكوبرى القبة ، كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على أعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة .

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعي السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة .. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش .

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لان الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ، والاوضاع والوعي والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب .. ثم هناك

الحقيقة الكبرى في قصة ثورتنا ، وهي أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات .. وهذه الحقيقة ذكرتها في الفصول السابقة مرارا عديدة .. فهي - اذن - حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها .

أين هم الاعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا الب دراوى ولا أى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالارض اذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الارض لاصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى الب دراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من الب دراوى!

ومضينا فى زحفنا الابيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الابيض على اعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل أن نطمئن الجميع - حتى الاعداء - طلبنا من الاحزاب - كما قلت - أن تظهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو .

لكن - كما قلت - اعتقد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا ، نحن الضباط الشبان الصغار ، فهم زرق الانياب وقدامى فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون؟

وانظرنا من زرق الانياب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا

من برامجهم في صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجيء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار في الصحف واذيع ، وقد جاء في نهايته تلك العبارة : « وقد اعذر من انذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة في المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام في كلام .

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدار الاجتماع الاعداء الذين ما قامت الثورة في مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت أية ثورة في أى قطر من الاقطار الا للقضاء على أمثالهم ..

المهم ان الوفد عقد الاجتماع والسلام ، وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض عضائه الذين قرر اخراجهم من الحزب لتطهيره . وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ في الحزب بل لم يكن هناك مبرر لخراجهم ، ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد أنهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك .. وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان في مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين !

تحديد الملكية

تحديد الملكية والأحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان في اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين ..

وكان أصحاب الرأي الأول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسحبت عن الشعب حين ضمت إليها الاقطاعيين ، إلا أنه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذي كان قائما قبل أحداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الأمور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .. ذلك هو الرأي الأول .

أما الرأي الثاني فيقول أصحابه : أن حزب الوفد والايخوان وكل الأحزاب في البلد ، يكافحون - جميعا - من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئات والأحزاب - إذن - معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها .

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى أى الرأيين اتجه الأعضاء في النهاية ؟!

.. في النهاية اقتنع الأعضاء بالرأي الثاني ..

اقتنعنا أن كل الأحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هي إلا نتاج طبيعي للوضع السياسي في البلاد خلال ربع القرن الاخير .. أى أنها ما وجدت إلا لتعمل في كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية في رءوس قادة تلك الأحزاب

والهيئات لان مصالحهم ارتبطت به وبوجوده والنظام القائم في البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو أن الثورة ستهاذن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شيء .. أى أنها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها ما دامت أهدافها هي جعل الأحزاب والهيئات التي وجدت في البلاد خلال ربع القرن الاخير تتولى زمام الامور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاصد التي كانت الطابع الواضح في قيادات الوفد والاخوان وباقي القطيع ! وعلى هذا الاساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الاحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتي بدونها لا يصبح للحزب أو الهيئة مهما كانت صفتها دور في تطور الشعب أو تحريره من المظالم كلها .. أو في خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التي قامت الثورة من أجل ارساء قواعدها الصحيحة .

وفي الوقت نفسه يفسح المجال أمام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الأمة التي قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :
- يا جماعة .. انى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار أننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

— ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة حقوق الشعب بعد انتزاعها من اعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لان الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى . . . وليس فى مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية ؟!

لمصلحة الرأسماليين ؟!

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد أهداف الثورة ؟!

وبدأنا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الاحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاوله أى نشاط سياسى .

وعاد جمال يقول :

— أحب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الاخرى فى الامة ، وهى ، أى تلك الطبقة ، لا تستطيع أن تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا أبناء فلاحين

ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة في اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع ابناء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها ..

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى ان الديكتاتورية تقام أيضا من أجل استعمار بلاد أخرى .

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية أمام انتاجها وتكون تلك الأسواق تحت سيطرة دول أخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها .

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شئ من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا أو فى حياتنا .. فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال - ماديا - اقامة مثل هذا النظام فى مصر ! لان الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى ..

ومضى جمال يوما يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

- انا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور أنه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس هنا أو فى الخارج من

هذا القرار الذى اعددتموه اننا تستهدف اقامة نظام ديكتاتورى . . . ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الاعداء ، استغلال هذا الموقف ، وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح ان كل الهيئات والاحزاب فى مصر ، كما وضع لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد او للعمل الى جانب الشعب ، لكنى ارى ان نعطى الجميع فرصة ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما اودى بنا هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطىها للاحزاب والهيئات هى املنا الاخير فيها .

لنعط الاحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد اهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها - اى الاحزاب - ان تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد . . فتتلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السليمة امرا هينا فى الشهور القادمة .

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

- اننا اذا اعطينا الأحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها واهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق . . نكون قد اشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الاحزاب والهيئات او عدم صلاحيتها !

وبعد ان انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للاعضاء :

اما اذا رايتم الاخذ بذلك القرار فانى ادعو لكم بالتوفيق

وأراني مضطرا إلى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق ، وسأكون طوع أمركم في الجيش أو خارج الجيش ، وفي هذه الحالة أرجو أن تعتبروني مستقيلا من الهيئة ! وتوجه جمال على الفور إلى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الأحزاب !..

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان اللواء نجيب يرى نفس رأى .. أى حل الأحزاب والهيئات .

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ، وأمام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية . انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دوما بأن نلتصق بالشعب ولا ننزل عنه .. وهو كان دوما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألتة وليست مسألة أحد غير الشعب ..

دينامو الثورة !..

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايماناً عميقاً بالتنظيم ..

كان يقول دائماً بأنه لا يمكن أن يتم أى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل النورة أو بعدها كان نضج تفكيره هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمننا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد ..

وأمام هذا كله ، رفضنا استفالة جمال فلا بعقل أن يدور جهاز – أى جهاز – بدون الشيء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا أنه لابد من أن نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية رأينا أن نعطي الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل – بعد اعطائها تلك الفرصة – على تحقيق مصالحه وأهدافه أم انها لاتزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها !

سممنا على اجراء الانتخابات

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد - في القرار - موعد
أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ أى ستة شهور لاجراء الانتخابات ،
بعد أن تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد أهداف جديدة
وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى مع التطور الذى
لابد منه للشعب .

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لايزال فى الحسبكم ، فأصدر
بيانه المشهور الذى هاجم فيه الأحزاب كلها .. لكنه أغفل ذكر
الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة
للأحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج
وأهداف جديدة !

وبعد أن صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله
ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بياناً آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء
الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى
الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد أيديهم للشعب فى كفاحه الطويل
المريير ؟ !

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟

وكان الهدف الأكبر للثورة فى ذلك الحين ، أو بعبارة أخرى

كان الأساس الذي أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. أى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الاحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها وأقطابها ! ؟

أو ماهو الشئ الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة – أى الشعب – فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون .. كما عارضه كل الباشوات .. فهل أخطأنا نحن وأصاب الباشوات ! ؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الإقطاع والبطش به ! ؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من أن يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد ! ؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لاتزال ترن فى أذنى ، عندما قال :

– سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الاحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية

أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا - اذن - موعد الانتخابات كما قلت ، وأعطينا للأحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هي تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب ، أم هي قد روعت بما حدث في ذلك الشهر الخالد .

أعنى اننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة ..

فقد كان حتما علينا أن نعرف الأعداء الذين سيتربصون بالثورة وهي ماضية في طريقها ، فاذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر أمنا ونورا ، فلا يطعن الشعب في ظهره وهو ماض في زحفه نحو المستقبل ..

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قنت وحددنا فيه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات وكان أمام الأحزاب التي ستخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته في الحزب .. وخاصة الأفراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذي طرد صاحبه ..

ويعد أن تكون تلك الأحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا ، فلا يعقل أن تبقى البرامج والاهداف التي حددتها الأحزاب لنفسها أيام فاروق ..

والزمن قد تغير .. وكل شيء كان لابد أن يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح في سبيل قيامها !

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السـياسـى المصرى الذى فرضته الثورة على فاروق قبل اخراجه من أرض الثورة .

واذاع على ماهر بيانا - كما قلت - هاجم فيه الأحزاب، واغفل

فى البيان الاشارة الى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار
والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان
على ماهر الى اصدار بيان فى الحال أكدنا فيه اصرارنا على تحديد
شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات .

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد
٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لا تكاد تشعر بما يجرى وسيجرى
تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة اننا فرضناهم على الملك
لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة ! -

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحدث تغير فى الوضع
السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..
وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع
بعد أن خلعت الملك عن عرشه ..

وأكد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها فقد
كان على ماهر يظن فى اللحظات الأولى للثورة أن المسألة لا تخرج عر
أن الجيش له طلبات ، ويريد أن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شى
كما هو !

لكنه فوجئ بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفون
بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأ
على بقاء النظام ، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة
الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة على ماهر ..

وعرف أن القيادة تريد إنهاء مسألة الاقطاع في الحال كوسيلة
لتحطيم القيد الذي رسفت فيه أغلبية الشعب - الفلاحون - طوال
مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق
على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها
لهم ..

وكانت تلك هي فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التي تحدت في منشورات الضباط الأحرار منذ بدأوا
نضالهم التاريخي المرير في سبيل الشعب .

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة رأس
المال ...

حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن
الوزارة - كما قلت - كانت في واد والثورة في واد آخر ..
وأعود الى الانتخابات التي كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات ! ؟

طلبنا - كما قلت - من الأحزاب أن تحدد موقفها من الثورة ..
أى من أهداف الشعب .. كشرط أساسى للتعاون بين الثورة
وبينها .. لأنه كان لا يعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد
فاروق والباشوات وأذئابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون
على كل الدوائر الانتخابية .

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما
فى كل الانتخابات التى جرت فى هذه البلاد .

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر ..
ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى . والاقطاعى
فى يده أن يجيعه ويشردّه مع أبنائه .. فكيف السبيل الى تحرير
الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه أن يختار الذى يمثله فى برلمان
بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك
ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى
البرلمان . . لتبطل الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو
هم هؤلاء الأفراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون
فى حياة ومصائر أغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد
لديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب .

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن
الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه وأراد جمال أن يشرك
كل الهيئات والأحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل
الشعب .

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين .. قطب
الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الأولى فى اتجاهات
الحزب المذكور ..

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد
وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة !

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى
وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت واحمد أبو الفتح .
وتكلم جمال عن حزب الأغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن
جدا للحزب الكبير أن يصلح من الأوضاع السائدة فيه وفى قيادته ،
ويغير من أهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد
فاروق .

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميلييه ان حزب الوفد لو
فعل هذا لأصبح من السهل أن يسير دفة الأمور ، فالثورة لا تريد
ديكتاتورية ..

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا
واحدا وهو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على
قانون تحديد الملكية ، لأن الديمقراطية كما يفهمها هو ، بل كما
يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط ..
بل هى تحرير الفرد من كل القيود .. هى تحرير عبيد الارض حتى
يمكن أن يعبروا عن ارادتهم وبالتالي يمكنهم اختيار ممثليهم فى
البرلمان بلا ضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة أربع ساعات ... جمال ورفاقه يتحدثون
عن حقوق الشعب والاسلوب العملى لاعطائه تلك الحقوق .. لكن
فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه
لا يمانع فى رفع الضريبة على الارض. أما تحديد الملكية فلا .. ولا !
ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من ايرادات
تخزينة الدولة ، ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به
الثورة .. أى تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين
فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب . وهذا هو أساس الديمقراطية
الحقة ..

ثم انتهى الاجتماع عندما قال فؤاد سراج الدين أنه سيعرض
الأمـر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بياناً فى
أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لىنتظر جميعاً بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلاً ، وعقد الوفد
اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية .. أى زوال الاقطاع .. ثم
رفض الحزب الموافقة على هذا الاجراء الثورى ! ..
لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين .. فماذا كانوا
يتوقعون ؟ ! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟ ! ..

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم ، وانهم هم
الذين سيحكمون البلاد رغم كل شىء .. وبلا ثورة ! ؟
ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم .. ظنوها انقلاباً كما
كانوا يشيعون .. والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو
الاجتماعى .. ولا يحتم اعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن
ارادته وحكم نفسه بنفسه ..

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بأنه لا أمل له على الاطلاق فى
تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ..

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعاً بأن الشعب فى واد
والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر .

وأيـن الثورة ؟

ورئيس الوزراء - كما قلت - قد عارض فى تحديد الملكية
مثلاً عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبة التصاعدية تكفى ..
أى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا

الفلاح رغم أنفه في البرلمان .. وفي هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون في مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان ! ؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هي الديمقراطية لو كنا تخلصنا عن مبادئنا وأهدافنا !

أى لم تحدد الملكية وجرت الانتخابات في فبراير .. والأحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والأرستقراطيون أعداء الشعب ! ؟

ان الأحزاب لم تستجب لنداء الثورة .. وبقي نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها ، ويتحفظون لمعركة فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم ، كما كان الأمر يجرى في الماضي !

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض في تحطيم الاقطاع وحده .. بل ان عضوين في مجلس الوصاية عارضا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة .. فأى موقف أعجب من هذا ! ؟

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة وأهداف الشعب لو انسقنا مع التيار ، وتركنا كل شيء كما هو بلا تغيير ! ؟

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون ، وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثورة في هذين المكانين ..

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الأساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والأحزاب والهيئات !

وهكذا اختلفنا .. وكان خلافا جوهريا خطيرا .. فنحن نريد
ثورة .. وهم يريدون حكما !

قلنا للحكومة ..

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير في
جلسة في دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر
وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة .. كما حضر الجلسة
رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلى ماهر وعبد الجليل العمرى ..
فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة
وللوصيين على العرش انه لا بد من انتهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة
ليست اقتصادية فقط ، بل هي في صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وأرغمه على التنازل عن
عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لأن الملك كان فاسدا فقط ..
بل لأنه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة ، ويجب أن
تزال كل العقبات أمام الثورة لتحقيق هذه الديمقراطية ، وبقاء
الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣
سوف لا يحقق هذه الديمقراطية ، وسيظل الوضع كما كان أيام
فاروق : برلمانات يتشاءب أعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا
ليقولوا نعم ... موافقون ! !

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها
تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة أياما

عديدة ..

الأحزاب ترفض نداء الثورة ..

وشعرنا فى تلك الأيام أن الاقطاعيين بدأوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثورة .. ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لا تمثل الا أصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ..

وانى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفد .. حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد .. ويومها وقف البدرأوى وصرخ فى برلمان الأمة قائلاً : طيب علموا الشعب ، وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه ! !

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام .

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه ! ؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك .. لو كانت تستهدف أن يسكت البدرأوى الى الأبد ، فلا يتكلم باسم الشعب .. واذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أو أسرة .

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ..

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش أن يسقط ، كما أراد الشعب .. ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من

السخرة .. من طغيان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة في تاريخ تطورهم ، وليختاروا بلا ضغط من البدرأوى أو سراج الدين أو أمير مخمور ، ممثلهم في البرلمان !!

انها ديكتاتورية الشعب كما أعلنها جمال عبد الناصر منذ شهور على الملأ .. وهى الديمقراطية الحقيقية ، لا ديمقراطية العائلات والأمراء والمخمورين ! !

ومن أجل هذا .. من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها وأهدافها .. لم تقبل الوضع الجديد .. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ..

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة .. بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كأن شيئاً لم يحدث بعد فاروق ! !

محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة ! ؟

والواقع أن كل أصحاب الخطابات التى وصلتني حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعاً أن أتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من سياسة الماضى وأحزاب الماضى ثم اغفل قصة نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتني فى حيرة ..

كيف أبدأ القصة ؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه !؟

وعدت أتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان أصحابها ينتظرون الآن ماسوف اقله لهم عن اللواء نجيب ، ولا بد انهم وكل الشعب يريد ان يعرف القصة ... وهذا ما زاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام - نحن رجال الثورة - حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المفرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، أو اختلفنا نحن معه لانه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه

الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية
والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل اشاعة كانت
تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة واعضاء
المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال تترى والاشاعات
تطير الى حيث تشاء ، ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها
.. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة .. !

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، اما الشعب فكان لا يعرف
سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا الله ! ؟

ومرة ثانية - أو ثالثة لا أدري - عدت الى كومة الخطابات
أنقل بصرى بين سطور بعضها .. ان أصحاب الخطابات يريدون
الحقيقة .. يريدون أن يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه
ديمقراطى ويريد الدستور أم لسبب آخر ! ؟

أن المسألة لم تعد تحتل السكوت .. فهى مسألة الشعب
وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب - فالشعب سوف يعرف الحقيقة
اليوم أو فى الغد ، وان كان قد خطأ فالشعب سيعرف أيضا كيف
أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد .

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها ، وتكاد
صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة ... انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن جقى ومن حق كل مواطن ان
يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا

حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ،
ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد
ذلك تبين انه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لا يلقى جزاءه ..
نريد ان نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد ان قرأت تلك الرسالة ، وكانت
لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت ان اروي قصة محمد
نجيب كلها .. قررت ان ارويها لكى نسدل الستار نهائيا على هذا
الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وأمسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من أين أبدأ ؟

هل أبدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ أزمة ٢٦ فبراير ١٩٥٤
التي قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث أن
أعاده ! ؟

أم أبدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة .. ! ؟

ان عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن .. وكل موقف
منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لأضخم قصة فى تاريخ
هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس ١٩٥٤ .. وكنا يوما قد ذهبنا
الى مطار المازة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت
فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول
طعام الافطار على مائدتهم ، وما كدنا نمسك بأقداح الشاي حتى
اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران على وجوههم الحقن
الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

— تعالوا ... الحقوا نجيب .. ! ؟

وبداية أخرى لقصة نجيب .. يوم أن عثرنا على تقرير في قصر عابدين بين أوراق حافظ عفيفي ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى أرسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟ !

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدي .. ها هو الخيط الاول ..

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب ! ؟

الأيام الأولى

اننى أرى الآن امامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الايام الاولى للثورة .. انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى ، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا .

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا :

— أنا أشعر بالخجل من نفسي ، لاني أراكم تنسبون أنفسكم
تماما ، وأنا لم أفعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شيء ، وكل
شيء قد تم بمجهودكم انتم ..

وكانت تلك الكلمات التي سمعناها من اللواء نجيب بمناسبة
وبغير مناسبة كافية لكي تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعني
الى ان أخرج الى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن نجيب
وزعامة نجيب !

بل أن عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى
قال فيه لنا :

« اننى أحب هذا الرجل كأبى تماما ، وأخشى ان يكون حبيبى
له أكثر .. »

فماذا حدث بعد كل هذا .. وبعد أن وقف عبد الحكيم عامر
في قريته « أسطال » يبايع نجيب أمام أهله ، وبخطاب حماسى
رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لأنه كان فى
الايام الاولى لا يترك مناسبة دون أن يبدى فيها خجله منا ، ويعبر
فيها عن دهشته لاننا ننسى أنفسنا ، وننسب كل شيء له ، وهو
الذى لم يفعل شيئا ؟!

أن قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والفرائب ..

انها أعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة
الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت أيضا فجأة
كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية

الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لا يؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هي تضليل الجماهير !

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضي بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..
وهي أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة «ثورة» ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب .

وهي نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش في كنف الخنوع وأصبح لا يعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر أو تنشق الأرض فتبتلع افراده جميعا .

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التي تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت أعنف المعارك ، وصمدت ثم اثبتت أن الشعب سينتصر على الدوام !..!

هي باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة ، فأنا أعدها منذ اليوم .
أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على اكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر انفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا .. !

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من أبواب التاريخ ! ؟

من فتح تلك الابواب امامه وقال له تفضل ... انت زعيم ! ؟

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب ! ؟
لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وتردد اسمه
على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى
انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة أسطورية بهرت العالم كله
وفى كل بيت فى مصر علفت صورته ، صورة البطل الذى
ظهر فجأة فى أرض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء
المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له أنت زعيم ، أنت بطل ، أنت منقذ الشعب
.. أنت محرر الوادى

لم يختلف أحد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة
نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه أن يتقدم الصفوف
ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شيء أو يعطله شيء .. فكل مقومات الزعامة
والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت أقدامه ، فماذا حدث ! ؟
لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية .. وماذا كان يعطله ! ؟

لقد اخلينا أمامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ،
ثم انكرنا أن هناك أبطالا غيره .. كان مجرد الإشارة الى بطل آخر
غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب أن
ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق
الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال أعوام نضالنا قبل

٢٣ يوليو هو من أجل هذا الشعب .. من أجل ثورته على أعدائه ،
وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم .

ونجيب أصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعاً
كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد
الديمقراطية ؟ .. ومن أجل هذا عزلناه وأبعدناه من الطريق ؟ ..

اننى هنا انشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه
وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا في مصر من كان
يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور ... وليعرف الشعب من هم
الثوار ، ومن هم الحكام ؟ ..

وقبل ان ابدأ القصة أود أن أسجل هنا خاطراً مر بذهنى
وأنا أمسك بالقلم لأبدأ القصة ... تخيلت جمال وعبد الحكيم
وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الأحرار وقد
بطش بهم نجيب فى أزمة مارس الماضى ، وأصبح هو الحاكم على
البلاذ ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا
نجيب ؟ ..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ..
وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية ... وعلى
يد من ؟ ..

هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. إم كان سيكمل اتصالاته في مارس
المشهور ويجيء بابراهيم عبد الهادى ويالهضبي وبالنحاس
وبسراج الدين وبكل اقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من
جديد ؟ ..

على أى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع
نجيب بالبلاد بعد أن يبطش بنا ؟ !

والذى كان معروفًا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس
الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والاحرار
الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة .

البيّنة والدستور

الأحزاب وخط الثورة

قلت ان الاحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضاً أن تسرع تلك الاحزاب فتفیر من برامجها ، ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها - اذا استطاعت - لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة ان هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وان الشيء الذى يعنيههم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد .

والواقع ان موقف الثورة من الاحزاب كان خاطئاً من البداية .. فهى - أى الثورة - كان حتماً عليها ، أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والاحزاب بشكلها الموجود كانت شيئاً مخالفاً لمفهوم الثورة .. وما حدث فى البلاد من مأس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الاحزاب لاتقع مسئوليته على النظام الذى كان قائماً ، بقدر ماتقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب .

اقول انه كان مفروضاً بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، أن تفهم تلك القيادات ان ما حدث فى مصر ليس انقلاباً سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات

السياسية اذا كانت حقا - ديمقراطية - ان تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور ، بل كان مفروضا ان تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البلاد الى ابعد مدى ، لا الى تعطيله ووقفه كما ارادت بعض تلك القيادات .

ويبدو ان رفض الاحزاب الوقوف الى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد . . فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة .

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الاخير كان كل افرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها على الاطلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة اهدافها الحقيقية من مصالحها .

وبالرغم من تراجع الاحزاب عن خط الثورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الاحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بإمكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا ان تكون فى البلاد احزاب ، وأن تجرى انتخابات ، وأعدنا قانون الاحزاب فعلا ، وكان الهدف الاساسى لذلك القانون هو ان تسجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الاشخاص الذين ثبت أنهم افسدوا فى الحياة السياسية ، وهم أكثر من أن نحصيهم هنا . . .

النحاس وسليمان حافظ

وبدا الوفد يناور ويحاور ، ثم وقع حادث صلاح الدين وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الإطلاق .

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية في ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية . . وفي مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحدث مع الوزير . . وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

— مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع .

وطلب سليمان حافظ الا يشترك النحاس بصفة فعلية في ادارة حزب الوفد الجديد .

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وأبلغه الحكاية ، وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ما قاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ .

وكما قلت لم يكن للثورة دخل في الموضوع ، لكن الحملة التي شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها . . فكتب احمد ابو الفتح سلسلة مقالات تحت عنوان « الى أين . . » وأظهر فيها بطولة خارقة ، فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقلية السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم في البلاد .

واذكر اننى كنت في ذلك الوقت مسئولاً عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائي في مجلس الثورة يتساءلون :

— هل من المصلحة ان يقال مثل هذا الكلام ؟ . . اننا لم

نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ،
فمالنا نحن وسليمان حافظ واحمد ابو الفتح وباقي الناس
الذين ليس لهم وضع في الثورة ، والذين ان جد الجد واحسوا
برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم - كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو -
لفزعوا وولوا الادبار ..

تجاهل الوضع الثوري ..

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال ان
هذا الكلام فيه تضليل للشعب ، لان احمد ابو الفتح اعتبر اننا
حكام وتجاهل الوضع الثوري

وقلت يوما لزملائي : دعوه يكتب كيف يشاء .. ودعوه
يفرغ كل ما في راسه من كلام ولنر صدى كلامه عند الراي
العام ..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لانها كانت تأخذ
نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التي تسيطر عليها
الاحزاب .. مدح في هذا وقدح في ذاك ولا شيء غير ذلك ..
لا موضوع ولا رأي ولا توجيه ثوري ، او على الاقل يستهدف
الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط ..

كانت مقالات « الى اين ... » كلها مدحا في مصطفى
النحاس ، كان مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب .

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس اثناء توليه
الحكم آخر مرة ، من القصر .. وكيف تحالف حزبه معه الى ابعد
مدى ، وتنازل عن شكله الشعبي من اجل ان يبقى في الحكم ...
لهذا كان مدح النحاس آخر حليف سياسي لفاروق والاقطاع

شيئا غير مستساغ بالمرّة في وقت رأى الناس فيه صاحب العرش
يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة « الى أين ... » وبدأت اخطارات الاحزاب
الجديدة تترى ، وخيل اليّنا ان مصر سوف تشهد عهدا غريبا
يتصارع فيه الف حزب سياسى من اجل كراسى الحكم ...

وأحصينا الرقم الاخير فوجدنا ان هناك واحدا وعشرين
زعيمًا في مصر ، تقدم كل واحد منهم باخطار عن حزب جديد ،
وبينهم زعماء لم يسمع بهم احد .. وكأن الارض قد انشقت عنهم
في غفلة من الشعب

مبادئ من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها
متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الاصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية ؟ ..
وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسرون بالثورة
المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم ؟ !

ما هو ماضيهم ؟ !

ما هو كفاحهم ؟ !

رحلة ملكية ارشاد مهنا

ولم تكن ندرى ماذا يدور في رأس ارشاد مهنا بالتجديد ،
ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول
شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا »

ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر «حاضرا» مرة واحدة من قبل !

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع ان يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد منها الى حد ما .. لكن فوجئنا ذات يوم برشاذ وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الاوامر التى أصدرها رشاد تطابق تماما الاوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الاحوال ... سيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف ... وعندما بلغنا النيا نظرنا الى بعضنا وقلنا :

— الله .. ايه الحكاية ! ؟

كنا نعرف ان رشاد منها لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها ، لكننا لم نكن نتوقع أبدا أن يعين رشاد منها نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق ..

ويبدو أن سراى عابدين ومناظرها والأبهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ، كل هذا قد ذهب بلب رشاد منها فطار عقله ونسى انه ليس من أسرة محمد على .

ويبدو أيضا ان سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... واذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال اللواء نجيب :

— أنا خاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رأيك ... تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر ، ونخلي القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلاً بالنص :

— يا سيدى .. ما شؤم الا الشؤم

وسكت جمال

أنا الملك وأحكم

واعود الى الموضوع .. الى « الهيصه » فأقول ان الامور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى عابدين ، وفى حضور سليمان حافظ أخذ رشاد مهنا يعنفه ، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب :

— انا لا اسمح بهذا ، ولا ارضى بذاك ، ثم صرخ قائلاً وبصوت عال جداً :

— أنا مش زى فاروق ... أنا هنا أملك وأحكم !

وكانت مفاجأة أخرى لنا .. فنحن نعمل كيلاً ونهاراً من أجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصر عابدين يصرخ ويريد أن يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا حدث أن الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعاده سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات ... وكان هذا الموقف كافياً بأن يقنعنا تماماً بأن الثورة فى خطر وان البلاد توشك أن ترى ملكاً جديداً من أسرة أخرى غير أسرة محمد على ..

يد الثورة تنقذ الموقف

وامام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار اجتماعا سريعا ، اصدورت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى ان يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد اجلنا هذه العملية الى ان تأتى الفرصة المناسبة .

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد ان يختار لنفسه اى منصب فى السلك الدبلوماسى ... لكن رشاد رفض ... كان يريد ان يظل ملكا على البلاد .

وبدا رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه ... فبدأ يتصل بالاحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، وراى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ..

وظنوا - جميعا - ان وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا - جميعا - ان رشاد هو منقذهم من الثورة ..

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ماكان لابد ان يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها ... وقد حدث فعلا ان لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الاحزاب والاقطاع ورشاد - جميعا بدأوا يتحفزون للقضاء على الثورة ... وتتابعت الاحداث ورأينا ان

حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما رأينا ان عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وإيماننا بكل مصرى مخلص يريد أن يعمل في نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته كل هذا قد يطيح ... لا بالثورة ، فشورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها ... بل قد يطيح بكل ماصنعناه نحن من أحداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ في صنع مستقبل الشعب .

أحسبنا أن تكتل تجار السياسة مع رشاد مهنا مع الإخوان مع الاقطاع قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم تكن على استعداد للتهاون فيه ... في مثل هذه الحالات يبدو الامر مضحكا اذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسألة العطوف التي مددناها للجميع .

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة ستة شهور ، فوجدنا أنفسنا أمام جبهات تتآمر علينا في الخفاء وتظهر لنا الود في العلن ... وجدنا أنفسنا أمام احزاب تريد طعننا من الخلف ، وافراد ينشطون في الظلام لحساب الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة .. وكنا في واد وجميع الاحزاب والهيئات في واد آخر ... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على اكفنا من أجل هذه الثورة المصرية التي بدأت زحفها منذ يوليو .. وهم ماذا كانوا يريدون ؟

من يحتاج الى العزل ؟

هل كانوا يريدون الحرية ! ؟

هل كانوا يريدون العدالة ... في الريف والحضر ! ؟

أم تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام ! ؟

وأيّن كانوا اذن قبل أن نصنع ما صنعناه !

ومن هم ... هذا هو السؤال ..

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين
والعاملين وتدفعهم الحاجة اليها دفعا الى العمل على تحقيقها
.. أما ان يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام ..
فهذا امر يبدو مضحكا .. بل ويدعو الى السخط الشديد .

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام ..
هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر ... اذن فالذين
تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة
الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك
اشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا - ويجب على
الثورة سحقهم بلا رحمة .. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم
فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد
الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانهى الامر بمحاكمة
رشاد مهنا ، والغاء الاحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من
يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

اسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة - كما قلت - بقبضتها الحديدية فألغت الاحزاب
وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى
تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب ... وكان
حتميا على الثورة أن تضرب هؤلاء الاعداء منذ اللحظة الاولى التى خرج
فيها كبيرهم - فاروق - من البلاد .. فالقيادات السياسية التى
كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد - ثورة - كما ذكرت ، بل
كان هدفها دوما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر

والنظام الذى كان قائما . هذا من ناحيته ، ومن
- فالثورة - أى ثورة - لا يعقل أبدا أن يتولى توجيهها نحو أهدافها
العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا - على الإطلاق - فى
قيامها أو فى التمهيد لها... بل على العكس ، كانت الثورة المصرية
التي تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ،
وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال
الاحزاب عونا لها قبل أن تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة أن تجد
العون فى هؤلاء السياسيين بعد أن قامت فعلا وبعد أن بدأت
تزحف على أعداء الشعب ؟

هل كانت الثورة الامريكية أو الروسية أو الصينية تنجح
لو أن رجالها لجأوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه
الثورة ، وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟! يترهبون
ويطلقون لحاهم ، أو ماذا يصنعون ؟

كنا - اذن - على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية
وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبل أن تتم على أيدي رجال الاحزاب
ورشاد منها وباشوات البلاد... ومشعوذيتها !

ان الغاء الاحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ كان عملا
ثوريا ينبع من أصول الثورة المصرية .. ومن اتجاهها الانسانى
الشعبى .

فلم يحدث فى تاريخ الثورات أن قام جماعة من الناس بثورة
على الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا « الثورة »
وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين
والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد
بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال
واسقاط الدستور ..

نحن نحمي الدستور

لقد قلنا بعد أن طردنا زعيم العصابات السياسية في مصر الملك السابق فاروق أننا نحمي الدستور . . . وكنا فعلاً نحمي ما نقول ، لكن الأحزاب المصرية وليدة النظام الملكي الاقطاعي ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات . . . أى بدفن الثورة المصرية في أعماق الأرض ، ليبقوا هم سادة للعباد والشعب حيث هو في الحضيض يمرض ويجوع ويموت . . . هذا شيء لا يعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة «الشعب» في عهد فاروق يريد أن يحكم ويحكم ويحكم ، أما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا في حاجة الى شيء منها ، فالعدالة والحرية والنور أشياء موجودة في حياته هو . . . في قصره وفي مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شيء وليس في حاجة الى شيء . . . فقط هو يريد أن يحكم العباد ، فاذا لم يستطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر . . . وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الابيض على أعداء الشعب ، أن نتردد ألف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد أن نخوض معارك دموية ، ما دامت الثورة تستطيع استرداد الأرض من الاقطاعي بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا في حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة . . . وكل ثورة ، سواء أكانت في مصر أم في آخر الدنيا . . .

وأعود الى الدستور . . . كنا نحمي كما قلت ان الثورة تحمي الدستور ، والدستور الذي وضع للبلاد في ابريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة وتنص المادة الاولى منه على أن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابي » .

ذلك هو نص المادة الاولى من ذلك الدستور ، وكما قلت

كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد أن يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للأحزاب ثم طالبت تلك الأحزاب بأن تثور أيضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا أن ضربت - كما قلت - بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الامر بحل الأحزاب ومحاكمة رشاد مهنا ... وكذلك باسقاط الدستور .

كنا نريد أن نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده ... وعندما تراجع رجال الأحزاب رفضوا أن يثوروا مثلنا ، رأينا أن نعيد النظر فى خططنا ... رأينا أن نعتمد على أنفسنا ، وعرفنا فى الحال أن الثورة لا يمكن على الإطلاق أن تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين وأعداء التطور .. لا ثورة بلا ثوار .. كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا أيدينا للجميع وطلبنا الجميع بأن يثوروا ، فأرادوا أن يحكموا .

ثم رأينا أن الدستور الذى يأخذ علينا أعداء الثورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الاولى .. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ..

اللواء نجيب يعارض

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا - وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام - أن بقاء دستور ١٩٢٣ ليس في مضمون الثورة على الإطلاق ... فهي ثورة اجتماعية قبل كل شيء ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادي وهذا أمر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم أمر لا يجيزه الدستور أيضا ، فكيف إذن نبقي عليه ؟ ومواده الباقية تحمي الاحزاب ورجالها ، الذين هم أعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها ؟!

وكان لا بد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شيء ... فقد كان من أسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم ، وأعلن عن هذا المبدأ في منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس جمال عبد الناصر ضمن مبادئ الثورة الستة ... فكيف كان إذن يمكننا الإبقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع أهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة ؟!

وقد كان اللواء نجيب يعارض في اسقاط الدستور مثل باقي الاحزاب والهيئات التي كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة ، ثم ما لبث نجيب أن وافق على رأينا ... تماما مثلما حدث عندما قررنا إلغاء النظام الملكي ، فقد عارض اللواء نجيب في هذا أيضا ثم ما لبث أن عدل عن رأيه ، وأذكر أنني ذهبت اليه يومها في منزله ... ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا في خيمة الحرس أمام المنزل وأذعت من هنالك البيان .

تلك كانت قصة اسقاط الدستور ٠٠٠ ففى مصر ثورة ولها
اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال
امامها ٠٠ وهنا - ايضا - تمتد يد الثورة لتهدم الجدار ٠٠٠ ولتعد
دستورا ينبع من فلسفتها ٠٠٠ دستورا يحمى الشعب فى عصر
ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب حصل عليه من أعدائه
٠٠٠ وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط !

مقاييس الثورة

مقاييس اليوم

ومقاييس الأمس

أعتقد أن المصلحة العامة ، تقضى بوضع النقط على الحروف ،
ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل ، وتختلط عليهم بعض
الأمور ، ان المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية ، لم تعد
تصلح لهذا العهد ، ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة
الزمان .

ان مصر اليوم ، ومنذ أكثر من أربع سنوات تعيش فى ثورة ،
والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن ارادته ،
لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر ، ولم تكن ثورة على فرد
دون سواه ، وانما هى ثورة شاملة كل عنصر من عناصر الفساد
ايا كان وأينما كان .

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر عاشوا
سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها مجتمعين تحت راية المبادئ
السامية التى أعلنوا عنها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما زالوا
يلتفون حولها ، ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وإيمان ،
وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت
الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة
بين النجاح والفشل ، أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادئ وأعواد

المشائق ، فكانت وقفتهن المجيدة صفا واحدا ، وكتلة متراسة هي حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد .

لقد اجتمعوا اذن على مبادئ لا علاقة لها بالاشخاص ، ولا صلة لها بالرابطة التي كانت تجمع الاحزاب المنحلة البائدة ، رابطة الغنائم والاسلاب .

ومثل هذه الرابطة ، رابطة المبادئ المجردة من المطامع والاسلاب ، لا يسهل ولا يمكن أن تنقسم وليس من الميسور ولا من الممكن أن تنقطع أواصر العلائق الشخصية التي تقوم على هذه الرابطة النبيلة مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر، وذلك لأن مراد الخلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم ، أو تهافت على منصب .

قد يحدث ، بل لا بد أن يحدث بين أفراد أية جماعة من الناس ، تباين في زوايا النظر الى مسألة معينة أو أكثر ، ولكن هذا التباين بين أفراد وحدت بينهم المبادئ السامية لا يمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس ، فهذا الرباط هو الجوهر النقي الطاهر الذي لا تنقسم عروته ، وأما الخلاف ، وتباين وجهات النظر فهو عرض لا يمكن أن ينال من روعة الجوهر .

على ضوء هذا التحليل الواقعي الواضح ، يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة في الحكم على تطور الحوادث في عهد الثورة ، وقد انتهى الزمن الذي كانت فيه الاعتبارات الشخصية، والمنافسات الحزبية هي المقياس أو المفتاح الذي يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد .

ان كل فرد فى هذا العهد الثائر لا يشغل نفسه ولا يشغل
الرأى العام بالمكان الذى يحتله ، والمغنم الذى يكسبه والصف الذى
يوضع فيه ، وانما يقف وقفة الجندى الذى يؤدى واجبه أيا كان
مكانه بين الجنود العاملين .

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم ،
ولكنه أحد المقاييس التى لا يصلح سواها للحكم على الاشياء
والاحداث فى هذه الايام .



الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه بـرياسة الجمهورية



احدى دبابات الثورة فى احد شوارع القاهرة فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢



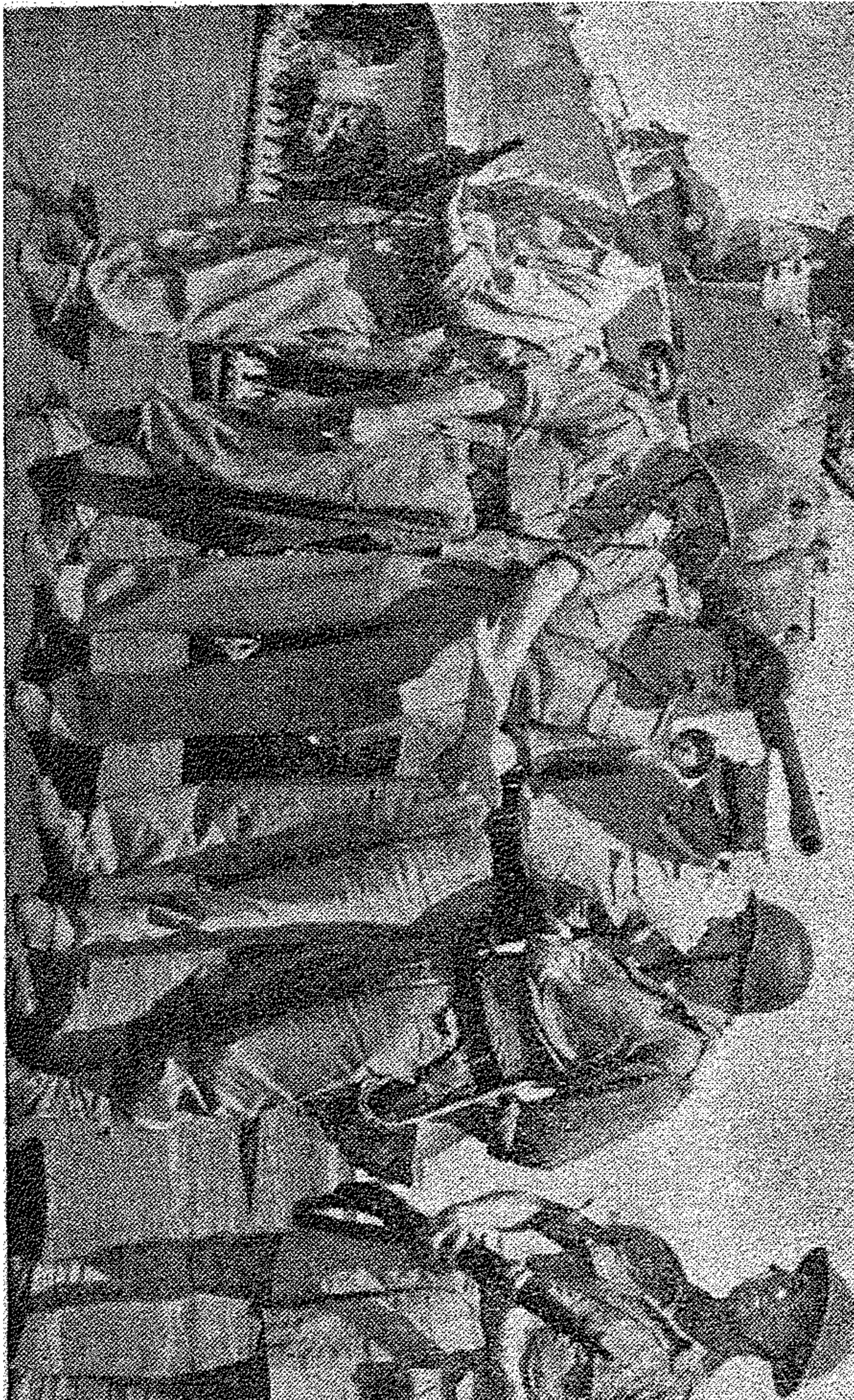
وزارة نجيب الهلالي آخر وزارة من وزارات العهد البائد حين قامت الثورة



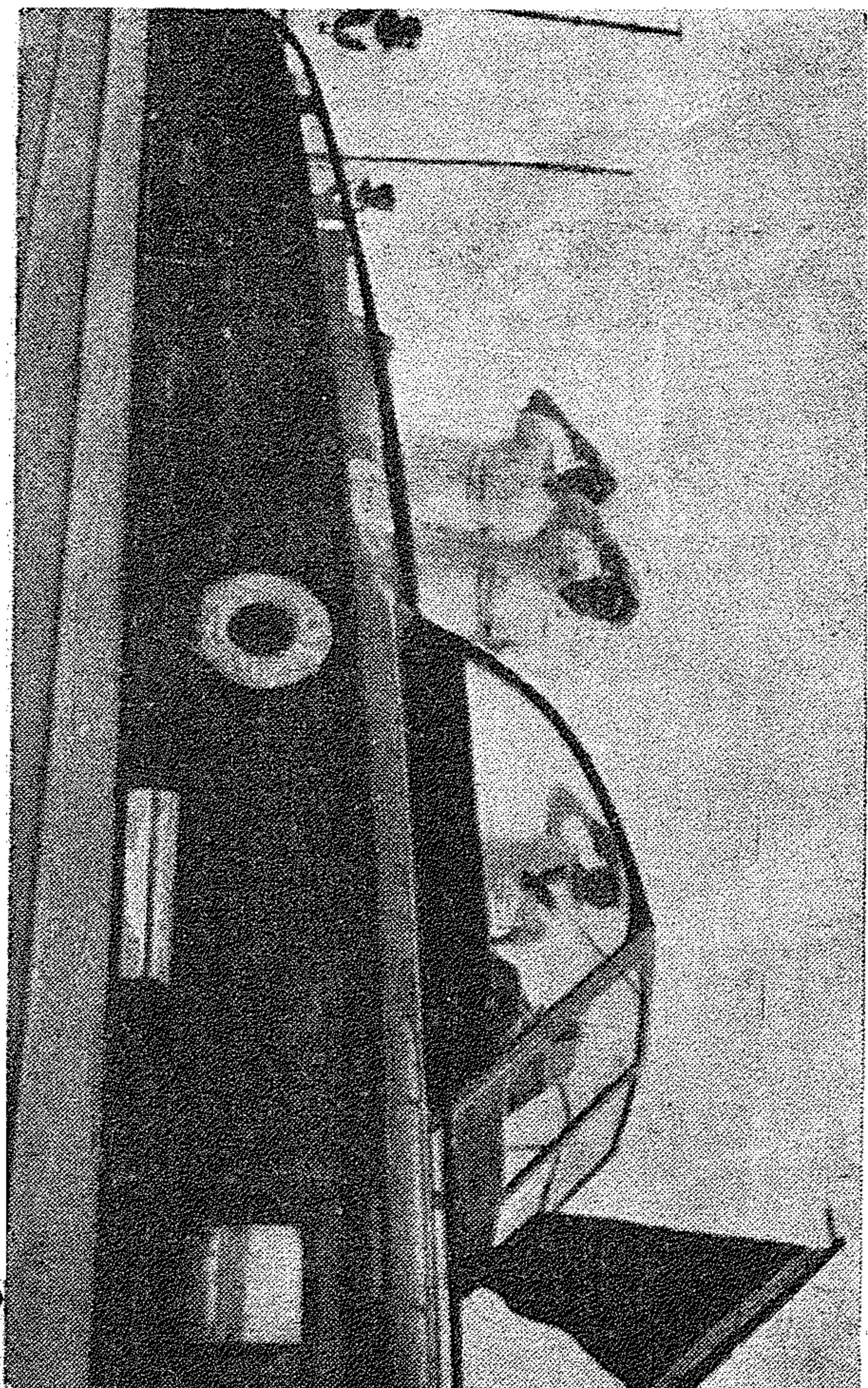
القائم مقام أنور السادات بعد أن أبلغ على ماهر مطالبة فاروق بالتنازل عن العرش



وثيقة تنازل الملك السابق عن العرش صباح يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢



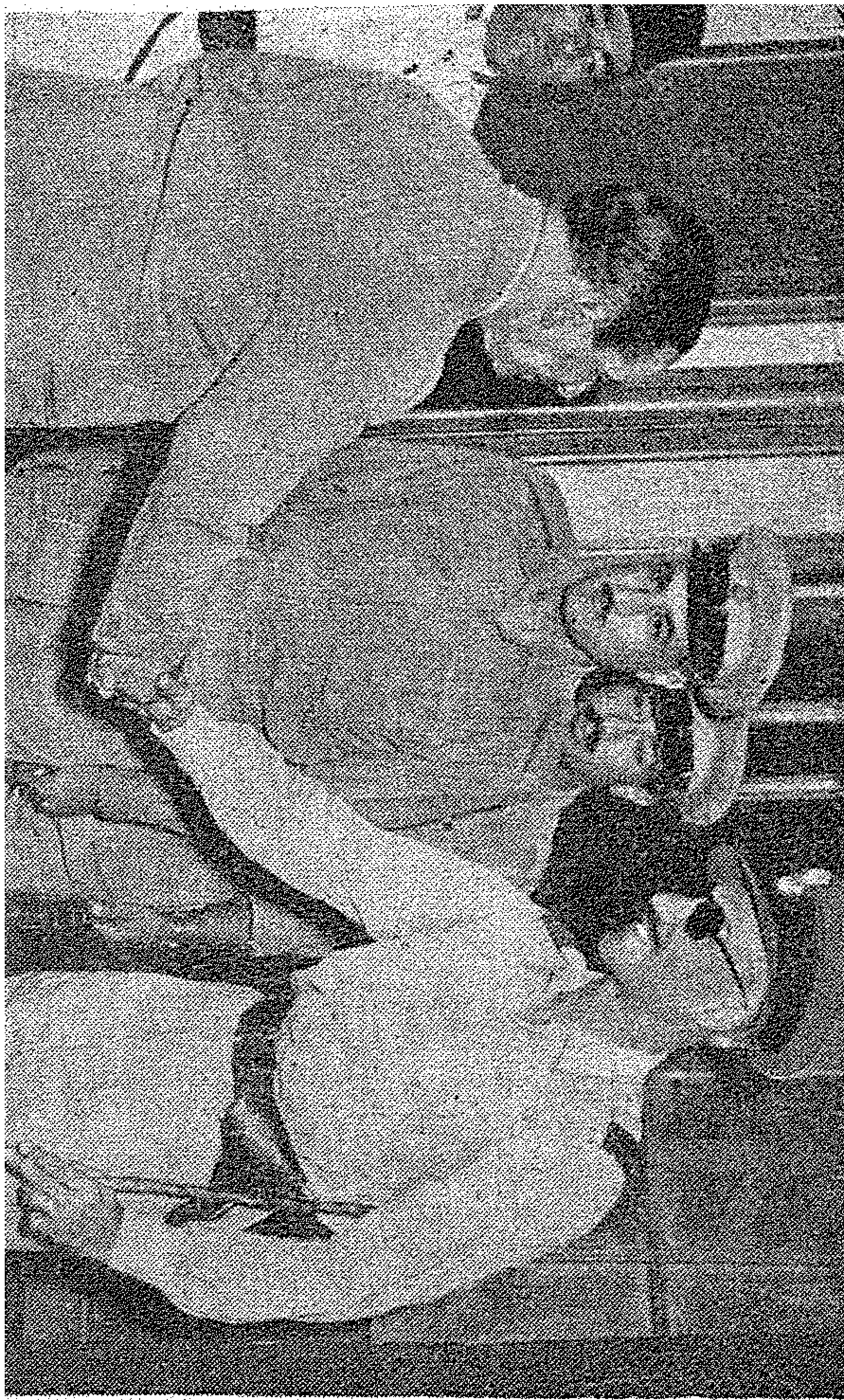
البنجابي حسين الشافعي قائد سلاح الفرسان برسم خطة حصار رأس التين والمنتره
بالاسكندرية



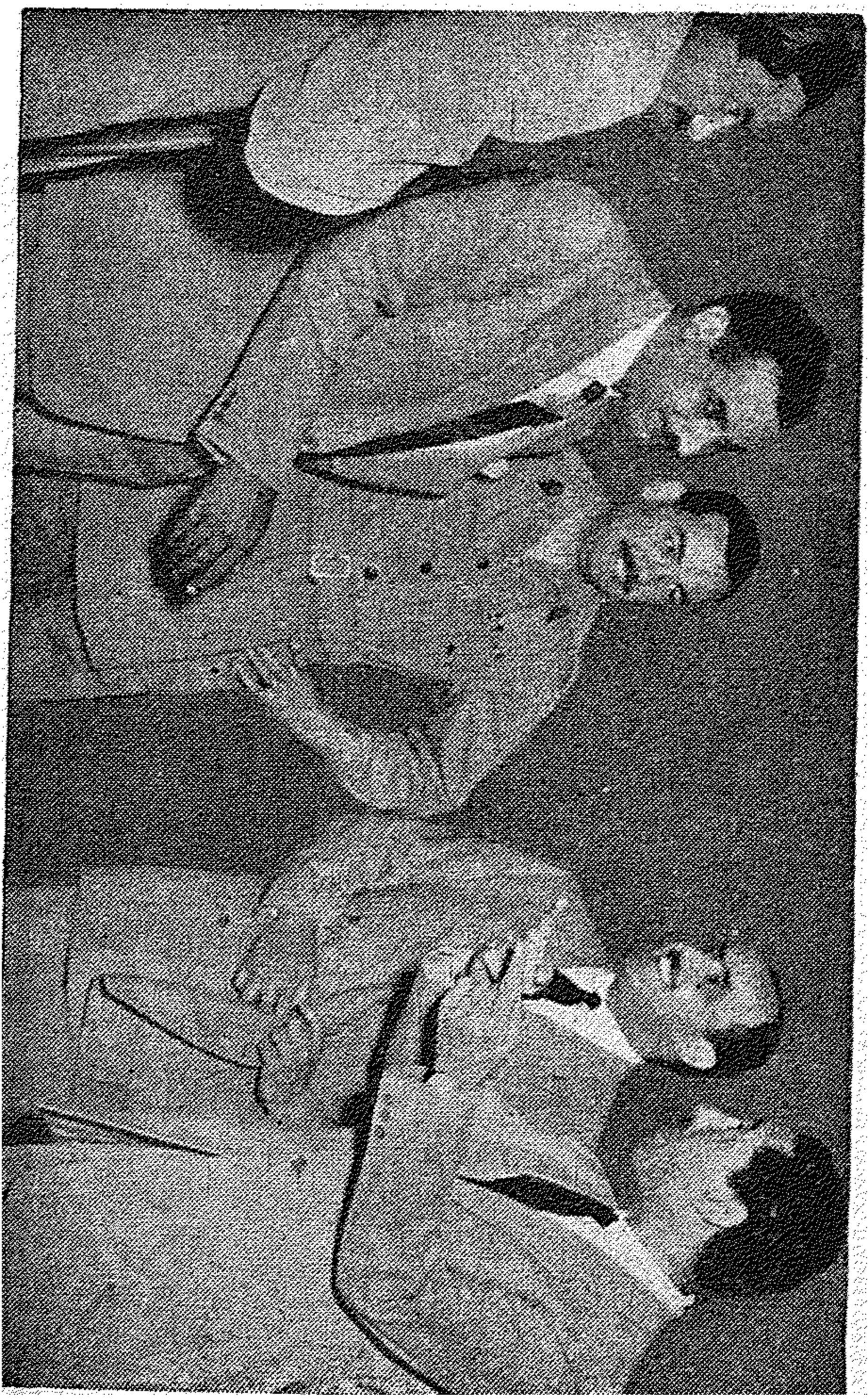
فاروق برحل عن أرض مصر في ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢



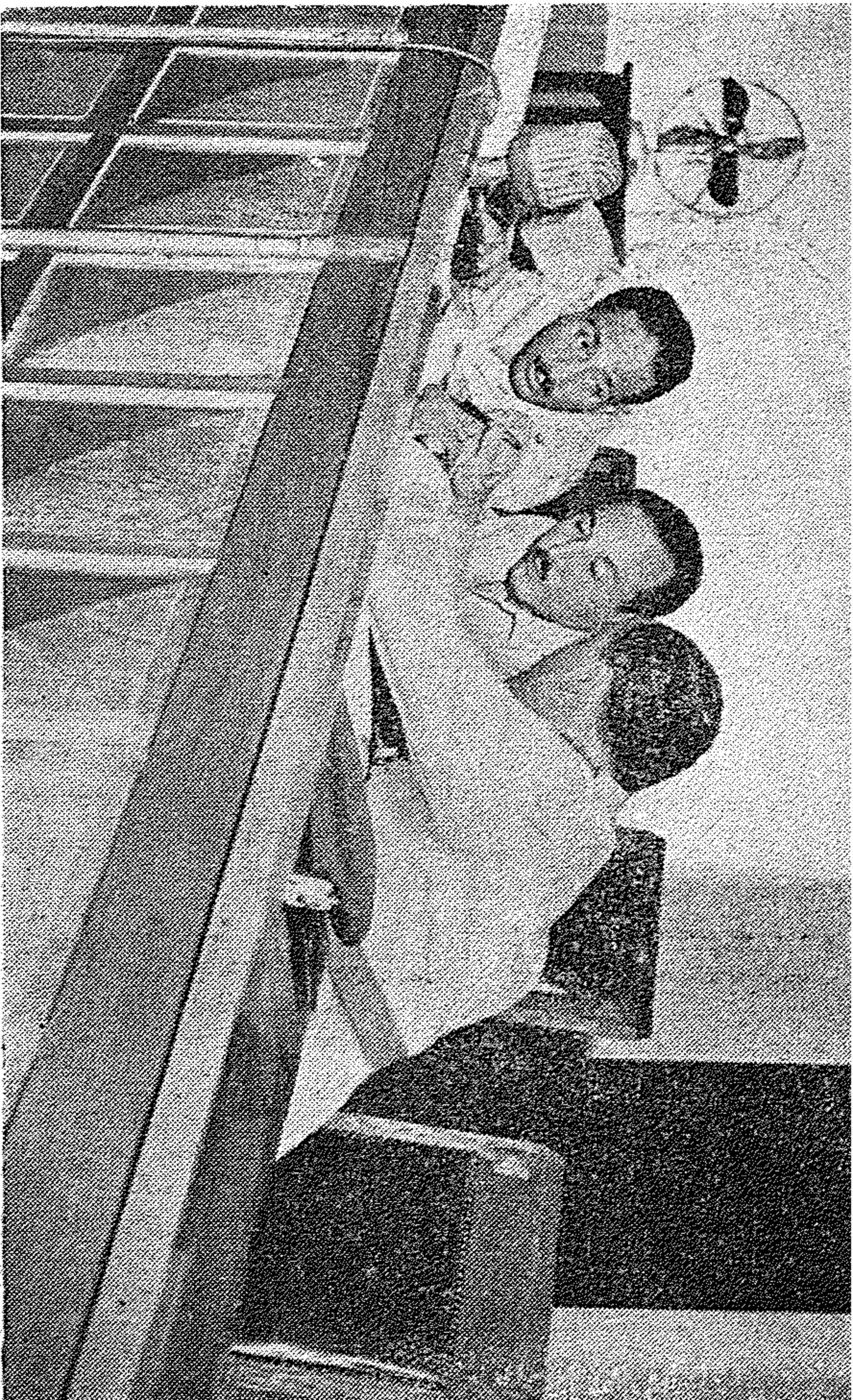
فرحة الشعب وهتافاته المتصاعدة يوم تنازل فاروق عن العرش



على ماهر يودع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم استقالته من الوزارة التي تولاها بعد قيام الثورة



بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد انتهائهم من أحد اجتماعاتهم السياسية



اعضا، محكمة الثورة التي شكلت لمحاكمة الخارجين على الوطن



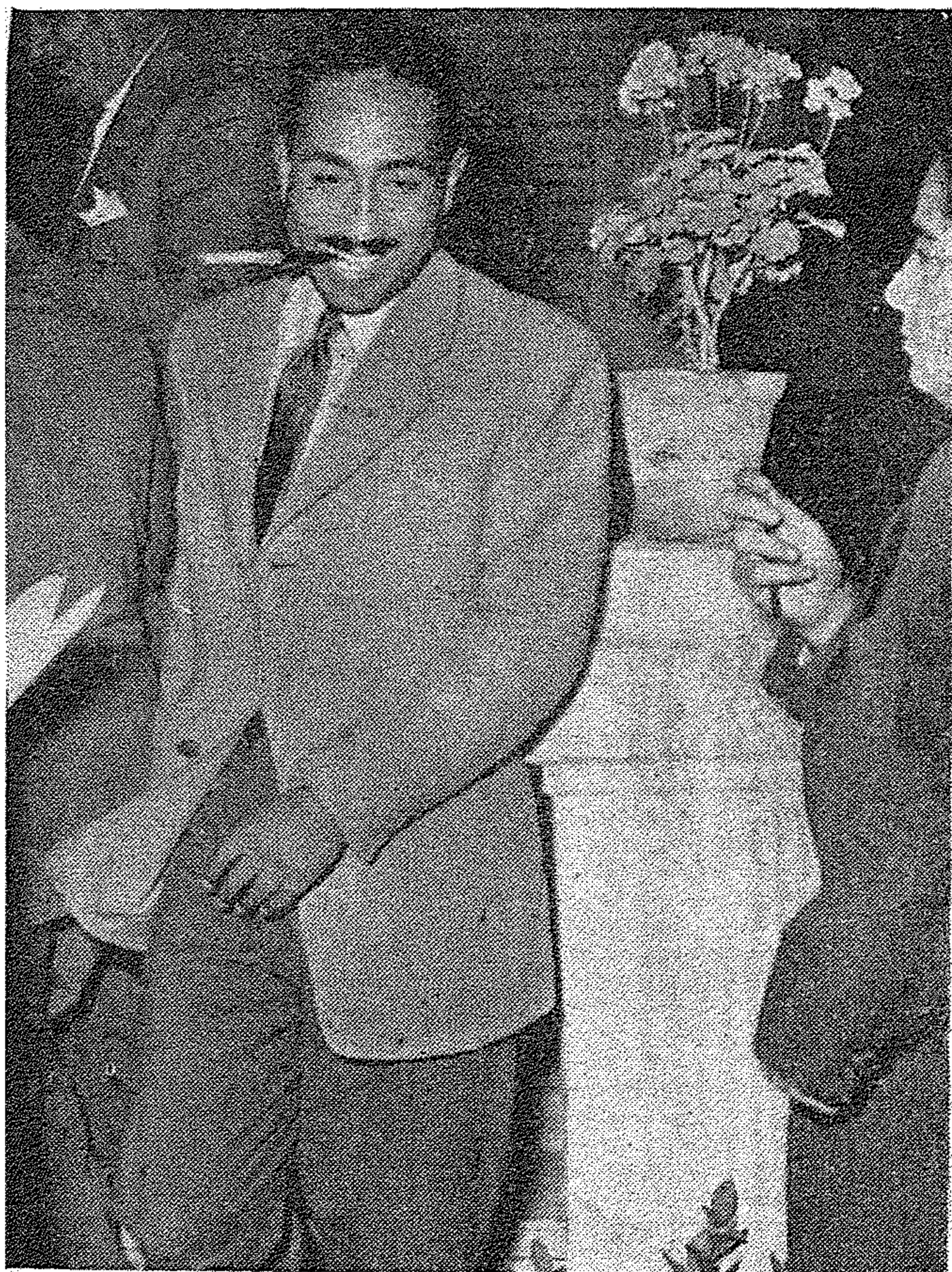
عبد اللطيف البغدادي وأنور السادات بعد انتهائهما من جلسة المحكمة



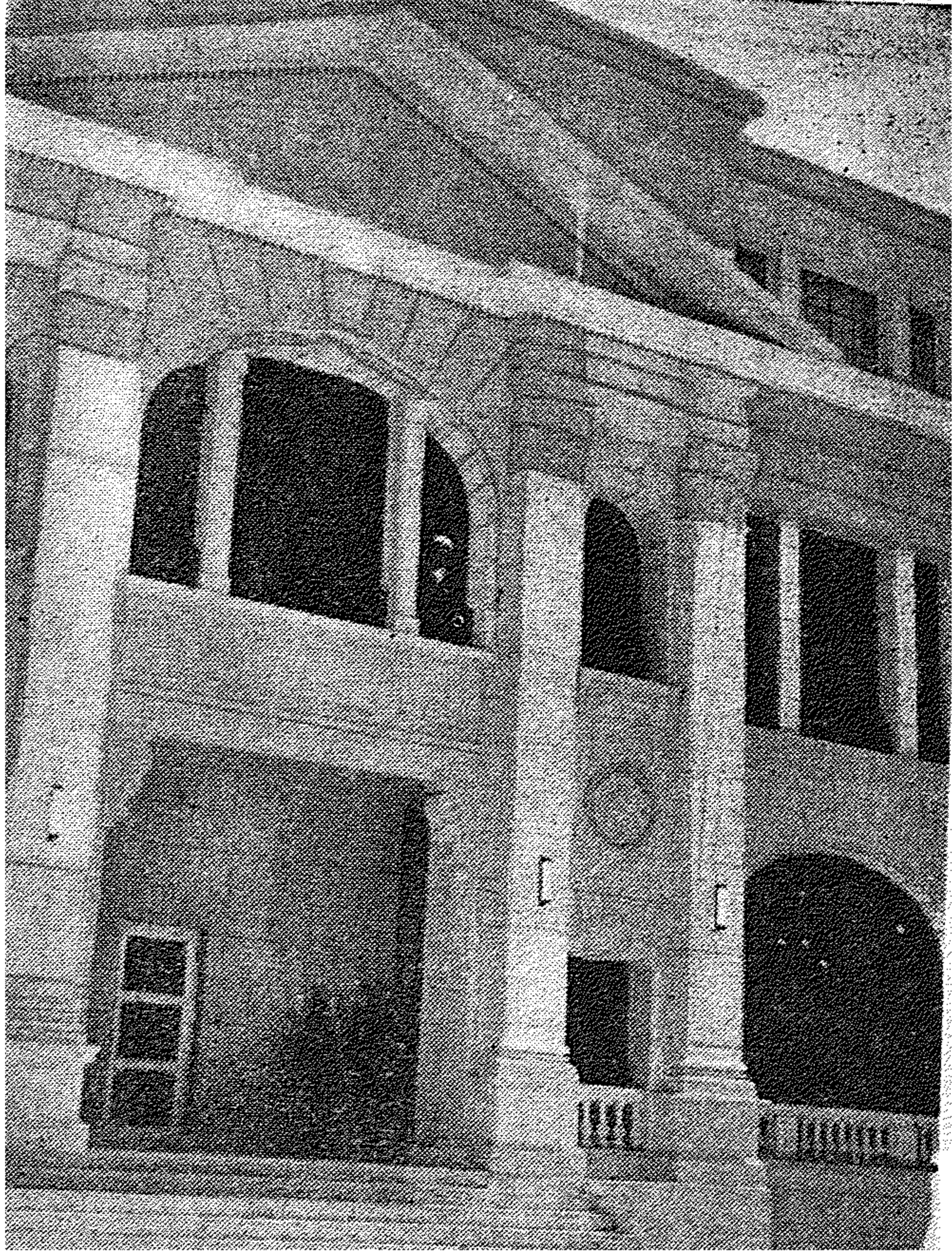
زكريا محيي الدين الذي وضع الخطة العسكرية لطرد فاروق عن العرش



الرئيس جمال عبد الناصر يغرس شجرة في اراضي نجع حمادى



القائمقام أنور السادات حين اشترك في الوزارة الجديدة في مايو سنة ١٩٥٤



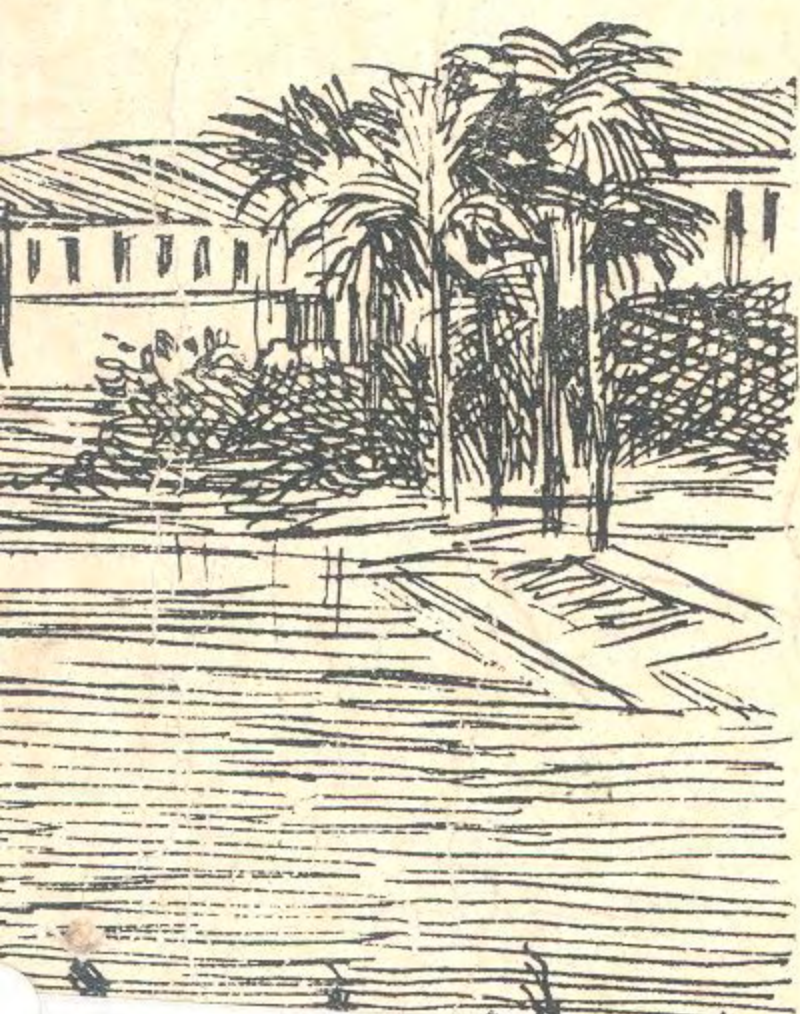
مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة يطل على النيل الخالد

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
ما هى السياسة وما هى الديمقراطية ؟	٩
الثورة والديمقراطية	٢١
الضباط الاحرار	٥٧
خطة الثورة	٧٣
أحداث الليلة الأولى	٩١
كيف نجحت الثورة ؟	١٠٥
طرد الملك فاروق	١١٧
الثورة وزعماء الأحزاب	١٦٩
تحديد الملكية	١٩٧
محمد نجيب والثورة	٢١٩
الثورة والدستور	٢٣١
مقاييس الثورة	٢٤٩

الدار القومية للطباعة والنشر

الدَّاءُ الْقَوْمِيَّةُ لِلطَّبَايَعَةِ وَالنَّشَبِ



العدد ٣١٠

—

التمن ٥

١٩٦٥/٧/٢٣